حياة الزوجين

١٩٠٦

اجتماعي أدبي اشتمل على آداب حياة الزوجين وما يجب على كل منهما نحو صاحبه وعلى ما تضمنته اسفار الحكماء واسطورات العلماء مما تتضح به مناهج السعادة وقواعد الهناء لهما

تأليف

عبد اللطيف صبحي

١٩٠٦

((أحد موظفي مصلحة البوستة المصرية بالقاهرة))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين

مقدمة

اما بعد فان الزواج ركن من اركان حياة الاجتماع التي لاجلها وضعت الشرائع على اختلافها وعليها قام الكون وتأيدت نواميسه الطبيعية بنشاءات قومية. وعصبات جنسية او نوعية . ولهذا كان (اي الزواج) من أجل الأمور الحيوية . واعظم

الشمائل الانسانية . بيد أنه في هذا الوسط . مكتنف بشوائب كثيرة اللغط والغلط . ولا ريب ان الانسان الحريص على سعادة قومه يرغب في اضافة فضل امسه ليومه . وقد علم قراء الاسفار . من أهل الحكمة والنظر والاستبصار . أن العائلة اساس الامة ولا تسعد الامة الا بسعادة العائلات التي منها تتألف وعليها تبنى وبها تقوم

ولا جرم أن الزواج قوام العائلة الشرعي . وضابطها الشريف وناموسها المشروع المرعي . فلا تسمى العائلة ركناً من اركان اجتماع الامة الا اذا روعي فيها نظام النسب . وشرف الحسب . ولا تتوفر هذه المراعاة الا بالزوج المشروع المبني على اصل الحكمة وقواعد النشأة القويمة التي نشأ عليها الصدر الاول برئيسه الأعدل صلى الله عليه وسلم ودعا اليها اساطين الملة . وحماة القبلة

ولما كان الزواج في هذا الزمن . محفوفاً بأنواع جمة من المحن والاحن . لاضطراب قواعده وتزعزع اركانه وتواثب الزوجين بعوامل الحقد والضغن والعمل على كيد المكائد وابتداع الحال . وكانت الطبقتان الوسطى والدنيا منغمستين

في حمأة الشرور والاكدار ومصفدتين باصفاد الذل والصغار يرتكب ذووهما بسبب الزواج اقبح الجرائر واكبر الأوزار. رأينا أن نبحث عن سر هذا البوار. واسباب هذا الدمار. ولعلنا نجد للأدواء داء يذهب بها وللأوزار دوافع تدفعها وللاكدار مخرجاً تنقلب به اتراحها افراحاً. ويصبح طير الحياة الاجتماعية صادحاً صياحاً. وعندئذ نوفق لخدمة امتنا في اهم اركان حياتها عسانا نقوم بواجب ادبي تنصلح به احوال العائلات فتستصبح بمصباح هداية الدين ونبراس الشريعة المطهرة فينبلج صبح السعادة ويتألق نور الاجتماع الشريف بفضل الاصلاح الشرعي الذي لو سار عليه الناس في امور حياتهم لحصل لهم التقدم الصحيح ولذهب عنهم كل سوء وويل وعذاب وبيل:

ولقد ما رست كثيراً من أهوال «حياة الزوجين» في هذا الزمن المكفهر بحوادث الفتن فألفيت التوازن بينهما مختل النظام. منفتل العرى والوئام. باسباب مهما اختلفت وكثرت فهي ترجع الى عدم التحري وحسن التخير واطلاق حرية الاختيار والا لو كانت شروط الزواج الحقيقية مرعية

بين الزوجين لما اضطرب حبل حياتهما ولما تولدت بينهما نفرة النعرة . وتباين الفطرة . وتنافر العنصر . وعدم تكافؤ النسب والحسب والتربية

ولهذا نرى ان الزوجين في هذا الوسط المهين بدل ان يتبادلا بينهما شعائر العشرة . تجرعا غصص النفرة وبدل أن يكونا شطري حياة واحدة لا تقوم باحدهما دون الآخر انحلت عرى وئامهما . واعتل توازن وجودهما . واختل كيان التناسل بينهما . فتخرج الذرية منهما . على اساليب مجهولة في نظر الدين والشرف والتربية والاخلاق . واذا سئلنا عن سبب هذه الجناية المضرة لا نقول الا أن مصدرها سوء الاختيار وفقدان مبداء التحري المشروع الذي قضت به نواميس الشريعة . واحكام الملة المتبوعة . كما سيأتي بيانه في فصول هذا الكتاب

اجل دفعتني الغيرة الملية والنخوة القومية الى تأليف هذا الكتاب ليكون دستوراً مرعياً في (حياة الزوجين) وقانوناً شرعياً لبني الاسلام اجمعين بل لابناء البشرية على اختلاف طبقاتهم ومزاياهم واخلاقهم ومذاهبهم واعراقهم . ولا مرية في ان القائم مثلي بواجب هام كهذا يصادف عثرات كبيرة

وعقبات خطيرة يحتاج في اجتيازها الى تعضيد شريف من اهل النظر والاعتبار واخوان الفضيلة الغيورين على شرف العائلة والمحافظين على دستورا لاخلاق المشروعة التي بها تقوم الفضيلة وعليها تبني . ولاجلها نلحظ حساً ومعنى .

على أني بفضل الله وحسن توفيقه قد استسهلت كل صعب وتغلبت على كل عقبة واتعبت قلمي وفكري شهوراً طوالاً حتي استخرجت درر حكم الحكماء من اصداف الاسفار المدفونة في خزائن العلم والناس عنها غافلون : فالواجب اذاً ان يتوخي النظار في هذا السفر الجليل عناية واهتماماً ولا يجوز لهم تناسي حقوق الحياة الاجتماعية وشعائر الزوجية في ظروف نزعم فيها اننا على ابواب التمدين بل ولجناها واصبحنا من المتمدنين في حين اننا نرى الارزاء محيطة بالعائلات بسبب هذا التهاون المضر

هذا ولما كان من الواجب الشروع في المقصود الآن فعلى القارىء الكريم حسن النظر والامعان وما التوفيق الا بالله فهو حسبي ومنه ارجو النفع العام لكل راغب في خير نفسه وخير الاسلام والسلام

الزواج وفوائده

الزواج عقد بين قلبين تعاهدا على تأسيس حياة وبثها في عائلة جديدة يكون لها شأن حيوي ينمو به عمران الكون ويشغل حيزاً من حيوزه التي هيأها الله لتعمر بعباده الممتازين بمزايا خصصتهم عن ماصدقات جنسيهم البعيد والقريب اي (الحيوان والجسم)

وهذا العقد اجتماعي تقوم به حياة ذات خطر يرادبها استثمار مواهب الطبيعة واستخراج كنوز الكون فان الله تعالى ماخلق هذا الوجود بمشتملاته الا للانسان الذي هو سلطان المخلوقات ولاجله كان كل شيء فالغرض اذا من الزواج عمراني طبيعي وليس الغرض منه التفاخر بنسب عظيم او الاعجاب بمصاهرة كبير أو الالتحام بأسرة خطيرة . كلا . لان الزواج أصل من أصول الحياة ارشد اليه قانون حيوي عام لجميع السلسلة الحيوانية . بل هو ضروري لحفظ انساب النوع الانساني . (انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وسنة من سنن الكون «ولن تجد لسنة الله

تبديلا» وركن من أركان العمران (ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين الخ) ووسيلة من وسائل الراحة (خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فبالزواج تتقى المحارم وتحسم الاحقاد وتزول الشحناء وتتألف القلوب وتنطفىء ثائرة الشرور وتلتئم القبائل المتنافرة . والشعوب المتدابره : قال خالد بن يزيد بن معاويه : كان ابغض خلق الله الي آل الزبير حتي تزوجت منهم رملة فصاروا أحب خلق الله عز وجل الي :

ومن هذا يظهر لنا ان الزواج تتهياء به صلات القلوب وتتقوي اواصر الرحم بين الشعوب . على اختلاف أميالها ومنازعها ولذلك انتفي وزال الحقد المتين الذي كان بين معاوية وآل السيدة رملة بمجرد حصول عقد القلبين على ما قدمنا بين الزوجين . ومن شعره رضي الله عنه يتضح ما قصدناه من ان الزواج قيوم الوداد . واقنوم الحب القاضى على بذور العدوان والتضاد : قال

أحن الى بنت الزبير وقد علت بنا العيس خرقا من تهامة او نقبا

اذا نزلت أرضا تحب أهلها — الينا وان كانت منازلها حربا
واذ نزلت ماءوان كان قبلها — أجاجا وجدنا ماءه بارداً عذبا
أقلوا علي اللوم فيها فانني — تخيرتها منهم زبيرية قلبا
أحب بني العوام طرّاً لاجلها — ومن أجلها احببت اخوالها كلبا

فالزواج حصن يتحصن به من الفحشاء والمنكر : جاء في الحديث «من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر»

أتينا بهذا اعلانا لاميال الرسول وترغيبه في تعميم الزواج الذي هو كما قدمنا ركن العمران الشريف الممتاز بنواميس الحياة المدنية حتى يتضح الفرق بين الانسان والانعام في موضوع التناسل العام

ولما كان موضوع الزواج من اخطر المواضيع الاجتماعية تصدي له حكماء العصور والشعوب على اختلاف مذاهبهم فقال كل فاضل منهم اقوالا فيه تناسب أمياله واعتقاده ولذلك رأينا ان نطرف قراء هذا الكتاب ببعض طرائف أولئك الحكماء والكتاب . قال الدكتور اسكندر بك بارودي في ذلك ما يأتي : ان اسرار مشروعية الزواج كثيرة منها

أولا ـ استبقاء النوع أهم الواجبات الطبيعيـة ولا يقوم هذا الا بالزواج فالزواج عامل من عوامل البقاء وأما العزوبة فهي من اعظم عوامل الفناء

ثانيا ـ الميل للزيجه بين الجنسين شديد فهو كناموس الجاذبية بين الاجسام والزواج نتيجة ضرورية عنه . وأما الجنوح للعزوبة فمخالف لذلك الناموس الطبيعي

ثالثا ـ : الزيجة محترمه في جميع المذاهب ومرغوب فيها بين جميع الامم والشعوب و . وصي بها من كافة الانبياء وأما عدم الزواج فقال به القليل ومحترموه معدودون .

رابعا ـ الزواج الطبيعي الشرعى المنتظم الهني ء يجلب النشاط ويحفظ الصحة وهو وسيله للاعتدال وسبيل لاطالة العمر واما العزوبة فبعكس ذلك كله .

وقال حضرة العلامة الفاضل المعلم سليم افندي كساب ما خلاصته

« العمران . والتعاون . وشركة العواطف . والالفة العائلية . والحب والحنان دعائم خمس يبني عليها اعز مصالح الانسان في هذه الحياة واهمها . فالعمران يستلزم النمو والتكاثر

والنمو يفتقر الى التناسل والتوالد . والتوالد يطلب الزيجة . والتعاون يستلزم معونة . واي معونة افضل من معونة الزوجة الامينه . واما شركة العواطف فقد خلق الانسان مفطوراً عليها فلا يستطيع الاستغناء عمن يشاركه في السراء والضراء . في النعيم والشقاء . ولا يقوم احد بذلك مقام الزوجة الحكيمة المهذبة في هذه الشركة الموثوقة العرى . ولذلك سميت شركة الحياة . والالفة العائلية سجية اساسية طبيعية يشاركنا فيها الحيوان بعض المشاركة . فقد خلق المرء اليفا يحب الانس والتعاشر : ويتعذر على غير الزوجة والاولاد القيام بهذه الحاجة الدائمة الماسة . واما الحب والحنان فقوتان شديدتان تدفعان المرء الى الجد والاقدام لارضاء من يحبهم وسد حاجاتهم وهي الباعث الاقوى على الارتزاق والاحتراف لاجل القيام باود الزوجة والاولاد المحبوبين اه

وقال المأسوف عليه الشيخ نجيب الحداد .

الزواج هو الالفة التي يمتزج بها الزوجان امتزاج الصهباء بالماء . والهوى الذي يطلبه القلب كما يطلب الصدر الهواء الى ان قال : الا ترى ان الفتى لا يزال ناقصاً في كيانه

خفيفا في ميدان زمانه وحيداً منفرداً حتى يضم تلك الضلع الى جنبه ويرجع هذا الجزء الى مكانه . تلك حكمة الخالق لو لم يوجد المرء ناقصا لم يخلق له تكميلا .

وقال العلامه (تلر) ان الزيجة ام العالم التي تبني المدن وتملأ البيوت والمعابد: وقال ابقراط « ان الزواج مصدر آداب المجتمع الانساني: انتهى .

على ان اقوال العلماء في هذا الموضوع لا تكاد تحصر في كتب كهذه تضيق دون استيعابها فنكتفي بما اوردناه عن بعضهم ليعلم القراء ان ما قيل عن الزواج يطول به المقام الى حد السآمة والملل ولكن لا بأس من ذكر بعض فوائده الاجتماعيه والطبيه هنا .

فان فطاحل الساسة مع ابتعاد اغلبهم عن الدين وتناسيهم معتقدات الأمم احيانا لا ينكرون شدة الاحتياج الى الزواج لارتباط حياة الامم به ولذلك هم يحثون عليه . وتاريخ فرنسا يروي لنا عن لويس الرابع عشر الشهير : انه كان يعفو كل اب له عشرة اولاد من كل الاشغال العمومية بل وكان يهبه الف ليرة سنويا معاشا له »

وكان ذلك الملك يبث روح الميل الى الزواج في نفوس الشبيبة الفرنساوية . ولذا نرى هذه النظرية هي الشغل الشاغل لرجال الجمهورية الفرنساوية الآن . فان الاحصائيات الرسمية عن مدن فرنسا الكبيرة كباريز وليون وغيرهما تدل على ضعف نسبة المواليد هناك الى عدد الاهالي ولذلك كانت قلة النسل في فرنسا شاغلا بال كبار ساستها واضطرهم الى اعتلاء منصات المنابر منادين بالويل والثبور منذرين بالشرور والدمار والانحلال لانهم لاحظوا أن العنصر الفرنساوي في تناقص على حين أن الامم الاخرى في نمو زائد . والسبب الرئيسي في ذلك هو الاغراق في اللذة الفاسدة التى لا تثمر ثمرها ولا تنبت بذورها . وقد نحا هذا النحو مدبروا صوالح الولايات المتحدة الذين لا تفوتهم لحظة لا يعملون فيها على كل ما يرقي الامة الاميركية أدبيا وسياسيا واجتماعيا .

ويحكى أن يوليوس قيصر القائد الروماني الذائع الصيت كان يمنع النساء غير المتزوجات من أن يلبسن الحلي والجواهر بعد سن الـ ٣٥ وبالعكس كان ينعم على من لهن عدد من الاولاد ويذكر التاريخ أن أغسطس سن قانونا يقاص به كل من

لم يتزوج بعد الوصول الى سن معلوم رجلا كان أو امرأة ويقضي على الامة الرومانية بأن تمنح المتزوجين وذوى العيال الكبيرة امتيازات خاصة وتمنع عنهم بعض الرسوم والضرائب.

ومع أن القانون لم يخرج الى حيز الفعل أكثر من ٢٤ سنة لانه أهمل بعدئذ لكنه يبرهن لنا على لزوم الزواج وأن منافعه للامة كانت معلومة حتى عند حكام رومه وقياصرتها الاقدمين: هذا ومما تقدم يعلم القارىء فوائد الزواج الاجتماعية

وأما الفوائد الطبية فنلخصها عن كتب الطب فيما يلي

إن الزواج ضروري لتقوية البدن وتنشيطه ولازم لحفظ القوى العقلية والبدنية فبالزواج تنتظم المعيشة ويتقوى القلب ويسري الدم فى الشرايين الى كل أعضاء الجسد فيحصل نفع عام لجميع خلايا الجسم التي منها تتألف أجهزته ويتقوى الصدر وأعضاء التنفس الرئيسية (الرئتان) الموجودة فيه فتتحسن وظيفة التنفس ويظهر الدم الوردي بسرعة أكثر من ذي قبل وبالزواج يكتسب الرجال البسالة وكظم الغضب المفرط والرزانة وسرعة الخاطر وحدة الذهن وسرعة الفهم والحزم والاقدام مع زيادة ثقة الانسان بنفسه والاعتماد على شخصه في

مهام حياته الجديدة . وبالاجمال فهو يأتي بالقوة والنشاط للزوج الذي قد يكون خاملا قبله .

وقد اتفق الاطباء على أن الزواج يشفي من أدواء عديدة ناتجة عن اختلال في وظائف المجموع العصبي فهو ينفع المالانخوليا (السوداء) والنوراستانيا التناسليه وبعض أنواع البله . ويفيد أيضاً في كل حالات الخمول والبلادة وحدة الطبع وسرعة الغضب وغير ذلك مما هو مشروح في كتب الطب . وإن عامة الاطباء على وفاق تام في أن منافع الزواج في النساء أكثر منها في الرجال . فكثير من أمراض الرحم وحالاته الغير الطبيعية المزعجة — كعسر الحيض النفراجي مثلاً — لا تشفى الا بالزواج والحبل . وكذلك فان الزواج يشفيهن من أمراض عصبية عديدة كالهستيريا والسرسام والانيميا وغيرها مما لم نذكره رغبة في الايجاز .

*
* *

(مبادئ الزواج المشروع)

معلوم أن الانسان اذا ابتاع سلعة بسيطة لا يقدم عليها الا اذا وجدها ملائمة لمصلحته موافقة لغرضه والا ردها لربها

خصوصا اذا اتضح عيبها . هذا فيما يختص بالمال والتعامل فما بالك بما يختص بشريكة له في حياته مالا ودما بل وكل الشعائر الحيوية المتبادلة بين الزوجين والتعاون علي نوب الزمان

انها لمهمة عظمى وغاية كبرى يجب علي الانسان ان يتجشم لها أصعب المسالك مادامت النتيجه تأتي على المرغوب لذلك جعلت الشرائع الخطبة الحجر الاساسي للبناء الزوجي وهي بمنزله المساومة في المعاملات الاخرى التي اشرنا لها فاذا كان هذا الاساس متينا فما بنى عليه كذلك والعكس بالعكس . فمن لم يتدبر في مسألة الزواج ويتبع فيه سبل الحكمة ويتأهب لاستقبال ادواره بما تتهيأ به السعادة الزوجيه فلا يظفر بشيء من الهناء الذي يدوم بدوام الوسائل المؤهلة للزواج الحقيقي حيث له شروط وقيود عظيمة فاذا اخل بها استحالت نعمه بؤساً وخيره شراً ونحو ساوهذا ما نراه بين جل المتزوجين فان معظمهم لا يقدمون على الزواج الا لمآرب مادية وكذلك لا ينتبهون لمستقبله فلا يدفعهم اليه حب صادق بل اكثر ما يكون في هذا الزواج هو الميل الى الاثراء من الزوجة أو الفخر بحسبها واصلها . وهكذا قل في كل زواج لا يدعم اساسه علي

ماتقتضيه الحكمة المشروعة ولم تلحظ فيه الضرورة الفطرية فهو كالبناء الذي يبنى على الرمال حتى اذاهبت عليه عاصفة قوضت اركانه وهدمت بنيانه وصيرته خاويا.

فكم من زوج استحوذ عليه الحزن حتى كاد فؤاده يتميز كمداً وغيظا من زوجة يريد تطليقها (والرجل لا يقدم على طلاق زوجته الامكرها) فراراً من سوء خلقها وعدم قيامها بالواجبات الزوجية نحوه

وكم من امرأة كانها البدر طامة اغمضت عينيها من شدة التأثر والدمع يذرف كالينبوع من مقلتها نادبة سوء حظها طالبة الفراق من جور زوجها وظلمه واخرى تشكو عدم انفاقه عليها ما يكفيها وغير ذلك مما لو لوحظ في اول الخطبة لما وقع شيء مما نشاهده من الشقاء الزوجي والكدر العائلي - فكثيرا ما يطلق الرجل زوجته أو يتزوج عليها بدون خطاء وقع منها بل تكون قد جنت عليها العادات التي هي ثمرة الجهل باصول الخطبة فاننا معاشر المسلمين قلما يري الانسان منا خطيبته الاليلة زفافه فكيف يمكنه أن يعيش معها ويقاسمها الحياة اذا لم يقع بصره عليها قبل الزواج ليعرف اذا كانت صورتها ملائمةله

اولا . لان الانسان يعتمد في خطبته غالباً على اخبار المرأة الخاطبة التي اعدت نفسها لهذه المهنة ويعلم الله ما بينها وبين اهل الزوجة من وعود الأجمال والمكافآت اذا جلبت لابنتهم زوجاً جمع كل الرغائب مالا وحرفة وحسبا وبالعكس يكون اخبارها لاهل الخطيبة اذ ضوعف الأجر من جانب الزوج وحينئذ تكون النتيجة في بطن الغيب يكالها العاقل للصدفة والحظ اي مخبأة . اما عدم الملاءمة على خط مستقيم أو التوفيق بين الطرفين وهذا شيء موكول للصدفه .

وقد وقع أن رجلا من أواسط الناس نشير اليه ولا نذكر اسمه حفظا لكرامته — عقد على زوجة بناء على مدح خاطبة أطرأت على خصالها وأثنت على صفاتها وبراعة جمالها بقدر ما استفادت من أهلها حتى اذا جاءت ليلة الزفاف ووقع نظره عليها فكان كمن صوب الى فؤاده سهم يكاد ينفجر منه لانه بحث عن وصف يطابق ما سمعه من الخاطبة عن هذه الزوجة فلم يجده وحينئذ أنذر أهلها في الحال بالفراق ولم تلبث الا سواد ليلتها حتى اذا ما انسلخ الليل من النهار كان انسلاخها منه أسبق ثم بزغت الشمس لكل ذي عينين فاهتدى كل الى طريقه الذي

جاء منه وانتهى الامر بسلام .

فأي موجب لانقياد الانسان الى تعميات الخاطبات وتمويهاتهن وقد جاء الشرع الشريف مرشدا الى السعادة بجميع أنواعها فورد فى الجزء الثاني من «نيل الاوطار» في باب النظر الى المخطوبة ما يأتي (في حديث الواهبة المتفق عليه: فصعد فيها النظر وصوبه . وعن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وعن موسى ابن عبد الله عن أبي حميد أو حميده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر اليها انما ينظر اليها لخطبة وان كانت لا تعلم: رواه أحمد اه)

وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم — فمما تقدم يعلم أن الشرع لم يحظر علينا النظر الى المرأة بل الى عورتها وقد عرف الشارع العورة من المرأة بجميع بدنها ما عدا وجهها وقدميها . فليس النظر الى المرأة محظوراً .

فما بال علمائنا لا يطلعون الشعب على هذا السر المحجوب عن مداركهم . فالى هذا الامر الخطير أوجه أنظار حضرات

علماء شريعتنا السمحاء لما لهم من السلطة الدينية على قلوب الاهالي الذين يعتقدون أن ستر وجه الفتاة عن خطيبها من المحافظة على العرض وان ما يفعلونه هو المطلوب منهم شرعا حتى اذا رأى خطيبته قبل العقد ثم اقترن بها عن رؤية لا عن سماع كان ذلك أضمن للاطمئنان نوعاً في هذه المسألة الخطيرة

ومما ينبغي أن يلاحظ في ذلك أيضا ما تعوده الآباء من الضغط على البنات في تزويجهن من يوافق رغائبهم غير مكترثين بارادة البنت التي ربما لم تسمع بالرجل الذي يريد أن يزوجها به أبوها الا عند العقد وما يفعلونه كذلك من تزويج أبنائهم ببنات وافقن غرضهم بدون إعطاء شيء من الحرية لهم في هذا الامر الذي لا دخل للأم ولا للأب فيه بل هو امر ذاتي راجع الى شخصي الزوجين وهذا كما لا يخفي تنشأ عنه مضار كثيرة فكم قام الخلاف بسبب ذلك بين الزوج والزوجة : كانهما تحالفا على البغضاء لا على المحبة والصفاء ثم ان الشاب يعذر اذا ابغض زوجته ولم يألفها لا سيما اذا كان يميل الي زواج فتاة يهواها ولكن لم يستطع الوصول اليها لمعارضة ابويه الذين سلبا منه حرية الاختيار

واوقعاه بعملهما في مهاوي الشقاء ٠

فيجب على الآباء ان يسلكوا سبيل الحكمة نحو زواج ابنائهم وبناتهم فيمنحوهم حرية التشاور في الزواج حتى لا يقع ابناؤهم في شرك الخصام الذي يترتب عليه ماتعودوه من نتائج الاستبداد الممقوت والاستعباد المذموم لانه تاصل في افكار السواد الاعظم من الامة الاسلاميه ان البنت لا حق لها ان تستشار في الزواج ولا ان يكون لها حق في انتقاء الزوج بل تساق الى زوجها كالحيوان الاعجم وكم في هذا من الضرر بل كم فيه من بقايا سيئات الاستبداد الممقوت والقسوة الوحشيه : ٠

ولا ادري كيف جاز في عرف الآباء تزويج بناتهم ممن لا يرغبن فيهم ٠ وسوقهن قسرا الى رجال لا يملن اليهم ٠ وفي ذلك خراب البيوت وشقاء العائلات مع ان الشريعة منحت المرأة حقوق الانتقاء والاختيار والاذن بالزواج ممن تريده : جاء في الجزء الخامس من نيل الاوطار. ما يأتي ٠

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثيب احق بنفسها من وليها والبكر تستاذن في نفسها واذنها صمتها رواه احمد ومسلم واصحاب السنن وفي روايه لاحمد ومسلم

وابي داود والنسائي: والبكر يستأمرها ابوها وفي رواية لاحمد والنسائي واليتيمة تستأمر وصمتها اقرارها .

وعن خنساء بنت حزام الانصارية ان اباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها . اخرجه احمد والبخاري واصحاب السنن .

وعن ابي موسي أن النبي (ص) قال: تستأمر اليتيمة في نفسها فان سكتت فقد اذنت وان ابت لم تكره رواه أحمد .

وعن ابى هريرة قال قال رسول الله (ص) تستأمر في نفسها فان سكتت فهو اذنها وان ابت فلا جواز عليها رواه احمد واصحاب السنن .

وجاء في الجزء الثاني من الدر المختار بحاشية ابن عابدين ما يأتي (ولا تجبر البكر على الزواج فان استأذنها الولي وهو السنه بأن يقول لها قبل الزواج فلان يخطبك أو يذكرك .. بل قد استحسن الرضي من أئمة الحنفية ما عليه الشافية من ان السنة في الاستئذان ان يرسل اليها نسوة ثقات ينظرن مافي نفسها بل قد قالوا والام بذلك أولى لانها تطلع علي مالا يطلع عليه غيرها . أو أرسل اليها الولي وكيله او رسوله او زوجها أولا

ثم استأذنها في الاجازة فسكتت أو ضحكت غير مستهزئة او تبسمت فهو اذن بالزواج ان علمت بالزوج من هو : لتظهر الرغبة فيه أو عنه فان استأذنها غير الولى فلا عبرة بسكوتها بل لا بد من القول الصريح)

فانظروا يا رعاكم الله الى سماحة الدين المشروحة باقوال الفقهاء الذين استنبطوا من اصول الشريعة احكام الزواج وحقوق الزوجين في حرية الانتقاء والاختيار فان ما يفعله الآباء اليوم مصادم للدين ومناقض لمبدأ الحرية الشخصية التي يرشد اليها الرسول في شريعته والقرآن في آياته البينات وحينئذ لا بدع اذا قلنا ان أئمة الدين في هذا العصر غير قائمين بواجب حيوي هام وهو الارشاد الى اسرار هذه المسئلة الخطيرة التي وقع الناس بجهلهم في حمأة شرورها وباتوا على شجار وتضاد ونفار لا ينحسم الا بجرائم يضطرب لها حبل الامن ويهلع منها فؤاد النظام .

واني لا اطلب بكل ذلك الا الرجوع في الحقيقة الى أصول الدين واتباع احكام القرآن الكريم وما صح من السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم واعمال الصحابة لتتم لنا السعادة في

الزواج ولا نصبح مضغة مرة في افواه الغربيين ولا يختلف اثنان في ان الزواج الذي يكون مؤسساً على قواعده المشروعة يبقى محترما في نفوس الزوجين وموجبا للعفة والصون ولو سردنا بعض الحوادث التي تنجم عن زواج الفتاة بمن لا يهواه قلبها وتحن اليه جوارحها يضيق بنا المقام عن استقراء هذا الموضوع الهام

الا انه لا بأس من ذكر حادثة جرت بحارة البير الحلوى التابعة لقسم باب الشعرية ولو على سبيل الفكاهة

وهي انه سائق عربة نقل تزوج بنت آخر رغماً عنها وكان اوجد حفلة انس لاخوانه لاحياء تلك الليله ولما جاء وقت السماع كانت هي اول مطلة من النافذة فاقبلت عليها ام زوجها وافهمتها أن عروس ليلتها لا يليق منها ذلك فلم يكن منها الا ان اشتبكت معها في عراك شديد افضي الى دخول زوجها عليها ليسال عن الخبر فصدمته وصفعته وخرجت من الدار تبغي الفرار وتنتعل الغير وتصهل بصوت مزعج اوجب اضطراب الحاضرين وارتياعهم فتمزقوا وتبدد شملهم وبات الزوجان في دائرة البوليس بعد ان كانا على وشك أن يبيتا على

فراش واحد بعد انس وصفاء وزفاف تتباج به انوار الحياة الجديدة .

وموضوع الفكاهة في ذلك ان الزوجة اثناء فرارها من زوجها كان هذا الزوج يقذف من فيه الفاظا مخجله مثل قوله انت طالق بالقسمين وغيرك احسن منك ميت مره . فهذا ولاشك من عدم توفر شروط الخطبة الحقيقيه في هذا الزواج المرذول .

تأملوا ياهداكم الله كيف حال الزواج فانه يحصل فيه من المضحكات المبكيات ما يتفتت له قلب الذي يود ان يرى امته سائدا بينها ما ينطبق على الشرع الشريف والعقل الصحيح حتى لا تكون مضغة في افواه المتمدنين الذين عرفوا قيمة هذه المهمة فاحتاطوا لها وقاموا بكل معداتها التي اوصانا بها ديننا وحرم علينا الشطط فيها والشذوذ عنها ولذلك سادوا في حياتهم وادركوا وسائل السعادة في اجتماعهم وكانوا الى شعائر حياة الزوجين اقرب منا واحرص عليها ونحن في غفلة عنها بل آثرنا عليها عوائدنا واتبعنا تقاليد الغابرين وهي من قبيل حمية الجاهلية الاولى .

(ماذا يجب في الخطبة)

أسلفنا ان وقائع الزواج في بلادنا اليوم غير منطبقة على المشروع في ديننا والمعروف في شريعتنا والمألوف لأ ئمتنا وانما هو بدع وضلالات زلت بها عقول القوميات الغابرة فرسخ في اذهان المولدين الذين يحرصون على القديم من غير تحر لحكم الله فيه وأبنا أن ديننا هو دين الاجتماع فلا يرشد الا الى ما فيه خير الحياة المشتركة بين العناصر البشرية ولذلك نذكر هنا واجبات الخطبة أي ما يجب أن يلاحظ عند الشروع في الزواج وهو:

أولا - أن يبحث الطالب عن أهلها من جهة أبيها وأمها وعن آدابهم وأخلاقهم المعيشية وسيرهم وسيرتهم لانه سيكون عضواً منهم ولله در من قال

لا تخطبن سوى كريمة معشر

فالعرق دساس من الطرفين

ثانياً - عن مكنة أهلها في الهيئة الاجتماعية وعن حالتهم المعيشية لانها تختلف شرفا وخسة فالدباغ والزبال والقصاب يتعيشون من حرفهم هذه فأين أولئك من التاجر والزارع

والصانع والموظف وبالجملة العالم والمتعلم .

ثالثاً - أن يقف على تربيتها الخارجية والداخلية لأنها المرآة التي تنعكس فيها صور الاخلاق التي ينشأ عليها أولادها منه ويمكنه ان يعرف ذلك بكل سهولة اذا تأتى في الخطبة .

رابعاً - أن يبحث عن معلميها ومعلماتها ليقف منهم على معارفها والوسط الذي تربت فيه وقد ورد في بعض الأمثال (لا تسل عن المرء وسل عن قرينه)

خامساً - أن يرسل احدى أقاربه لتفحصها ولو بشكل غير محسوس حتى تقف على صفاتها الشخصية ولتعرف اذا كان بها بخر أو ذفر اومرض باطني او ظاهري او نحو ذلك مما يمجه الرجال ثم تتردد عليها مدة تتمكن فيها من معرفة اخلاقها ومعلوماتها المنزلية والاقتصادية وتطبيقها العمل على ما تعلمته من خياطة وتطريز وعلوم وغير ذلك مما استوضحه من معلماتها

سادساً - ان يتلاءما سنا وذوقا ومزاجا لان الفتاة معرضة للامومة واتعاب الرضاعة وعناء التربية ومشاق الامور المنزلية ولذا ينبغي ان تكون اصغر منه سنا وقد ورد في كتب الفقه - لا ينبغي للرجل ان يزوج ابنته شيخاً مسنا - لان الزوج

اذا كان هرما وامرأته شابة اضطر ان يتصبى في معاشرتها واما اقبح الشيخ ان يكون صبيا . فكم من رجال بلغوا سن الشيخوخة ثم تزوجوا ببنات لاتتجاوزن الاحدي عشر عاما فلا ادري ماذا فهمت هذه الفتاة المسكينة ما هو الزواج وما الغرض منه او كيف يشعر بلذة الزواج الأدبية رجل يقترف ذنبا كهذا . اليس ذلك من بقايا الهمجية والاستبداد في هذه المهمة الزوجية ام تشكو الفتاة سوء حظها الذي قرنها بهرم بيض الشيب مفرقه اذ ترى اترابها يتمتعن بشبيبة ازواجهن وهي تحترق بلهيب شيب بعلها. افلا يتحول ذلك الاتحاد الى نزاع الم تحس منذ ليلة الدخول بألم نفساني ولم تعد تشاهد الا عابسة كأنها وقعت في وهدة بؤس. افلا تحرق قلبها الزفرات اذا قارنت نضرة شبابها بشيخوخة زوجها الذي يتعذر او يتعسر ان يكون حظه حظ الرجل مع زوجته والغالب انه يتركها ارملة في ابان نضرة شبابها والطامة الكبرى اذا تركت في حجرها اطفالا صغارا فتكون أخراها شراً من اولاها

وكذلك اذا كانت هي عجوزا وهو شاب اضطرت التكلف الدلال والتحبب ــ وما أقبح الكهلة ان تتدلل وتتحبب ــ

وبالاختصار يندر الاتفاق بينهما اللهم الا اذا كان الزواج لغرض دنيوي بأن تكون الزوجة ذات ثروة فهو يختارها لامر خارج عن مقاصد الزواج الحقيقي لان مطلبه المال ليتمتع به وهذه الزوجة وسيلة له وهيهات ان يبقى امينا لها بل الغالب ان يكون هذا الزواج طلاء حيث يستنكف ملازمتها فيهيم في الطرق المحرمة

وجاء في كتاب «المرأة في ادوار حياتها» للدكتور أحمد أفندى عيسى ما يأتي -

أن السن المعتدل المناسب جداً لزواج البنات في القطر المصري - : يبتدى من ١٤ أو ١٥ سنة وإن تقدم الزواج عن ذلك كان عديم الفائدة ومضرا احيانا للمرآة ولأولادها لجملة امور منها أن الاعضاء التناسلية لم تكن قد بلغت حدها النهائي في النمو ومنها أن البنات المتزوجات وهن صغيرات السن عن الحد الذي قررناه يكون زواجهن في الغالب أقل اخصاباً (أي نسلا) واولادهن تكون حياتهم قليلة عن غيرهن ومنها ان المبكرات في الزواج لا تتوفر فيهن الشروط الجسمية والعقلية اللازمة للزوج والامومه الا اذا اكتسبن تجارب تؤهلهن للزواج ومنها

أن النساء المتزوجات وهن صغيرات نسبة الوفيات فيهن اكثر منها في المتزوجات في السن المعتدل ومنها صغر الام في العمر ينشأ عنه ضعف في الطفل وخصوصا في الولد البكرى واذا تأخر الزواج الى ما بعد الخامسة والعشرين أو الثلاثين يكون الحمل والولادة في الغالب اكثر تعباً على المرأة لان الاعضاء تكون انتهت في النمو وثبتت في اوضاعها وصار أى تغير في اوضاعها متعذراً ولا يخلو من خطر والولادة عندهن غالباً تكون عسرة . وعلى العموم فان الشبوبيه والتقدم فى السن كلاهما يضعف التغذية فى النسل واولادهم يغلب فيهم الضعف ونقص القوة الحيوية ومن الضرورى جداً ان يكون الزوج اكبر من الزوجة لجملة اعتبارات: منها ان الرجل ينمو ببطيء عن المرأة ومنها أن المرأة تنتهي حياتها التناسلية (سن اليأس) قبل الرجل ولا يكون له السلطة التامة عليها اذا كان اصغر منها اهـ سابعاً ـ ان يتلاءما حسبا ونسباً فان المرأة اذا كانت راتعة في بحبوحة العز مفتخرة بنسبها وحسبها عالمة انها رفيعة الجاه على من سواها ثم تزوجت برجل لا يعادل اهلها فى غناهم عرفت انها ذات حظ تعيس فتعيش منغصة الحياة منكدة

العيش عديمة الهناء. اما شقاءزوجها فحدث عنه ولا حرج اذ انها لا تجد امامها مرآة ينعكس فيها فخارها وتعاليها الا زوجها الذى تنغص عيشه بمقارنته بأبيها وامها مثلا حيث ترى فى المقارنة بين اهلها وزوجهاما بين الثريا والثرى . فالزوج الذى يطلب زوجة أرفع منه حسبا ونسباً ولم تكن عنده الصفات المكافئة لصفات اهلها كان كمن يبتني ان يحمل حملا ينوء به ولا محاله

وليس اجهل من شاب يطلب فتاة ارفع منه حسبا ونسبا فعوضاً من أن يكون هو رب البيت وسيدها يصبح في عينها كعبدلهاوتصبح هي السيدةوصاحبة الامر والنهي مطلقا وحينئذ يفقدمقامه في عينها وتنظر لنفسها بعين التيه والاعجاب وتنظر له بعين الاستخفاف والازدراء كأنهامن عالم الملائكه وهو من نوع الشياطين أو كان بعلها المنحوس الطالع مركب من ماء وطين وهى من فل ويسمين!

واني لا عجب للشاب الذى يتلمس العليا من الاتيان الى زوجه ارفع معه فكانه يبيع راحته وهناه بهذه الامنيه وهي في الحقيقة صفقه خاسرة لا محاله . وكلا الزوجين مغبون لانه

لاداعي لهذا الا انما الاحب المجد الباطل فان الرجل اذا كان يريد زوجه فاضله جميلة مهذبة يجدها في اسره مساوية لاسرته كما يجدها في أسره ارفع منه بل ربما وجدها في تلك افضل واجمل وكذلك اذا طلب فتاة احط منه حسباً ونسباً فانها ترضي أن تعيش معه بأي حال من الاحوال ولكنه لا يتأكد أن يكون كامل السعاده والهناء لاحتمال أن تكون أدنى منه عقلا وتهذيبا فينفر منها ويتسع الشقاق بينهما وهناك تكون الطامة الكبرى ..

فاذا الافضل ان تكون الزوجة متساوية للزوج حسباً ونسباً لانه يغلب ان يكونا متلائمين في الطباع والعادات والتربية واسلوب المعيشة.

وقال بعض الظرفاء في الذى يتزوج أغني منه (نري نفسه حزينة وعيشته مهينة يتحمل ما لا يطيق وأكثر الايام تراه سكران بخمرة الهموم لا يفيق وحاله عند زوجته كحال خادم أو أسير كانه قرد مربوط بجنزير كيفما تشير اليه يسير واذا حصل بينهما قال وقيل فانها تنام على السرير وهو يرتمي على البساط أو على الحصير فما تصبر على ذلك زمنا طويلا بل تمضي شاكية وعند أبوها باكية فيسمع بكاها وتنهدها

وشكواها فالا يتغير خاطره على صهره فيجيبه بين الناس ويهين قدره ويسمعه كلام يسوي عمره فيمضي حائر في أمره يقع على واسطة خير يصلح بينه وبين عمه لا غير . فيأخذ الواسطة ويمضي الي حميه بحاله مكربه ويقول التوبة من دي النوبة فيصفي خاطره عليه ويرد امرأته اليه من بعد ما يعمل شروط ممدودة ويقول احذر الرجوع والمودة فتمضي زوجته الاميرة الي دار بعلها ولا يقدر أن يعاتبها على فعلها فتنكسر شهامته أمامها ولا يعود يخالف كلامها لئلا تعيد الماضى ويبقى خاطر عمه عليه غير راضى فمسكين المزوج الذى هذا حاله ياليته بقي أعزب كان أولى له)

ثامنا — أن يكون بين الزوجين تلاؤم في العلم بأن يكونا متساويين في المعارف تساويا نسبيا لأنه اذا رأي شريكته متعمقة في الجهل احتقرها واعتبرها كالانعام لا أثر لها في شؤونه فاذا رأته أهمل واغضي ضاق صدرها وظنت انه يظلمها وبكت سوء بختها الذى ساقها لرجل لا يعرف قدرها وحينئذ تبذر بذور النفرة في فؤادها وقد تكون المرأة موافقة في كل الصفات ما عدا العلم فيكونان دائما في شقاق بسبب تأخرها

عنه في التربية بمراحل عظيمة لان ابغض الرجال عند الجاهلة هو الذي يقضي اغلب اوقاته في مكتبه وكلما رأته جالسا منحني الظهر مشغولا بمطالعة كتاب أو بقراءة جريدة غضبت منه ولعنت الكتب والعلوم التي تسلب منها هذه الساعات وتختلس الحقوق التي كانت تنتظر قيام زوجها بها ومن هذا يتولد على الدوام نزاع لا ينتهي الا بنزاع جديد وحينئذ يحتار الزوج المتنور مع الجاهلة في الجمع بين صفاتها الساذجة والعلوم التي تعلمها على ان شرط التكافؤ في التعليم كمالي فقط

وبالاختصار فان الرجل الذي يكون هذا حاله مع زوجته يفقد كل استعداد للعمل لان العلم لا يثمر الا اذا كان العقل متمتعا بالراحة والسكون

اما اذا كانت ملائمة لزوجها في العلوم والمعارف كانت معه كالرجل الحكيم العاقل مع رفيقه ترشده الى الخير وتقطع بخبرتها كل نزاع ولجاج فلا يكون من وراء معيشتها مع زوجها الا كل راحة وهناء

وما الطف امرأة تقرأ لزوجها في كتاب لتسمعه ما فيه لو كنت آمراً احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان تسجد

أو تكتب له كتاباً في سفره ليكون كل منهما على بينة من امر رفيقه وتكون في وسط اولادها كالقمر في وسط الكواكب والنجوم ينبعث اليهم نور المعرفة والادراك فيستفيد منها اولادها التربية ويكونون رجالا في المستقبل حيث نغرس في نفوسهم حب الفضيلة ومقت الرزيلة

واما اذ كان جاهلا وهي لها دراية بالكتابة والقراءة كانت حالتها امر وانكى وكان ويلها اعظم . فتشمخ عليه بانفها وتفتخر بعلومها ومعارفها وهو يتميز غيظا ولا سيما اذا كانت تعرف لغة اجنبية وهو لا يعرفها فهناك تكون الطامة الكبرى . لانها اذا خاطبت بها احدا وهو واقف كالصنم لا يبدي حراكا ولا يفهم ما تقول ربما اساء الظن بها واذا كانت سليطة وهو مستسلم كان لها كالعبد تحركه كيفما تشاء ويشاء لها الهوى بما فيها من استعداد العلم واتساع العمل ولذا يصير ألعوبة في يدها يأتمر بأمرها وينتهي بنواهيها ثم يؤول الامر الى ان يفقد مركزه الطبيعي وهذا جزاء من يريد ان يعتلي منصة ليس كفؤاً للتربع عليها ولا اهلا لها .

تاسعاً — ان تكون صحة الزوجة جيدة لان الصحة هي

نصف المرأة بل هي المرأة كلها لانها اذا كانت عليلة سقيمة كانت مصيبة على زوجها لا زوجة له وحملا ثقيلا يئن منه ويتململ ويندب سوء حظه الذي اوقعه في زوجة تمضي اغلب اوقاتها في الاوجاع والالآم . وفضلا عن ذلك فان الزوجة كالشجرة المثمرة ولا يخفى انه لا تجتني اثمار جيدة صحيحة من شجرة ضعيفة مريضة فالشجرة الضعيفة اما انها لا تثمر شيئاً او تثمر أثماراً ضعيفة سقيمة وكذلك المرأة الضعيفة الجسم فانها اما ان تكون عاقراً او يكثر اسقاطها لأولادها او تلد اولاداً ضعاف القوى يموتون وهم اطفال او يعيشون بالادواء في آلام وارزاء .

ولا تسل ايها القارئ عن كدر الرجل اذا دخل على زوجته بعد انقضاء اعماله ليستريح من عناء التعب . ورآها طريحة الفراش تتناوبها الامراض والاسقام فانه يزيد تعباً على تعب وألماً على ألمه وتسود الدنيا في عينه وتضيق الارض امامه على رحبها حيث تقلق راحته بسهره اذا مكثت طول ليلها تتأوه وتئن من احاطة الامراض بها فيبيت ساخطا على الزواج وما يتعلق به خصوصاً اذا كان اولادها اطفالا بعضهم رضيع

والبعض لا يفارق امه لصغر سنه فيزداد عليه البلاء وتتضاعف عليه المصائب وتحيط به الارتكابات التي تشوش عليه عمله ومعاشه وبالجملة كل حركاته وسكناته .

عاشراً — ان تكون جميلة وسيمة لان المرأة اذا كانت ذات جمال وقد واعتدال تكون ادعي لعصمة زوجها من التطلع الى غيرها فانه كلما زادها نظراً كلما وقعت لديه موقعاً حسناً . لان الانسان في الغالب ميال الى الجمال بطبيعة الحال فاذا رأى ان زوجته على وفق ما تقدم طاب له المقام ولذ له العيش وصار من اهنأ المتزوجين . ويا حبذا لو قارن الجمال حسن الخلق فانه لاشك تكمل له السعادة وينغمر في بحبوحة العز والهناء . وبالجملة فان نعيم الزوج او شقاءه يترتبان على اخلاق الزوجة لا على جمال صورتها لانه ما اسعد زوج المهذبة وما اشقي زوج سيئة الخلق . فاذا كانت الزوجة كتمثال دمية ومعها مال قارون ولكنها سليطة فماذا ينفع جمال صورتها ؟ لا شك ان زوجة كهذه يكون بعلها في جحيم من عشرتها سيما اذا كان شريف النفس اما اذا كانت سهلة الخلق كان زوجها في نعيم ولو كان سيء الحال لانها تكون معينة له على مضض العيش .

قال الفيلسوف ارثر في جمال المرأة

« لقد منحت الخلقة الفتاة بهجة وقتية فأهدتها تأنقاً في الشكل وتناسباً في الاعضاء ودقة في الاجزاء لتتمكن في سني نضرتها القليلة من تملك قلب رجل تضطره الي التكفل بها بأي وسيلة شرعية . ولما لم يكف لبلوغها هذه الغاية حدة فكرها ولا قوة ذكائها منحت هذا الجمال وقاية لحياتها وضمانة لمستقبلها انما اقتضت الطبيعة أن يكون ذلك لوقت محدود لما لها فيه من الحكمة الاقتصادية . ألا تري النملة بعد اتصالها بذكر النمل تفقد اجنحتها التي تصبح وقت البيض غير نافعة لها بل خطرة على حياتها كذلك تفقد المرأة جمالها في الغالب بعد ان تضع مرتين أو ثلاثا والسر في ذلك هو ما ذكرت »

فالشاب العاقل يسأل عن اخلاق الفتاة وآدابها اولا ثم ما زاد عن ذلك فهو خير وبركة . فعلى الخطيب ان يسعي الى الفتاة الحسنة الاخلاق لا ان يصرف همه الى المحاسن الجسمانية دون النفسانيه فان حسن البشرة يزول ونضرة الوجه تحول اذ لايخفي ان المرأة عرضة لكوارث متناوبة وحوادث متعاقبة من شأنها ان تسرع بها الهرم وتعرضها الى السقم

وتورثها العلل علة بعد اخرى فضلا عن كونها ضعيفة البنية بالجبلة فاذا كان كذلك عفا اثر الحب الذي كان مبنيا على هذه المحاسن الظاهرة .

ومن الغريب ان الآباء يجارون ابناءهم في الاقتصار على محاسن الفتاة وجمال صورتها دون التحري عن شيمها ونشأتها ومحاسن خلالها وفطرتها وهذا نقص في الاختيار وفساد في الانتقاء يظهر به سوء الروية وفساد الميل . والا لو كان في نفوس الآباء فؤاد يشعر بعواقب سوء الانتقاء لما اقتصروا على محاسن اجسام النساء دون البحث عن التكافؤ في الخصال الغراء التي هى قوام العيش الرغد والهناء

اذ لاشك ان جمال الصورة كسحاب صيف لا يلبث ان ينقشع اذا طرأ على الجمال ما يشوهه فيزول حب الجمال مع الجمال بخلاف حب محاسن الخصال فانه يدوم بدوامها وهى باقية ما دام الزوجان

فالجمال الحقيقي هو الذي يشف عن أخلاق كريمة وعواطف ومبادي حسنة فالوجه الوضاء والثغر البسام والمحيا المشرق اذا لم يكن تحتها طباع مرضية واحساسات

عالية لا تعد جمالا بل تنتج خبالا ووبالا لانها ربما استهوت فؤاد الزوج فيضحي على مذبحها آدابه فيصبح مقيدا بجمال صوري يحمله على نقض مبدء الشرف العائلي الذي هو تاج حياة النبلاء الشرفاء

الحادي عشر — ان يبحث اهل الزوجة عن توفر الصفات التي تقدمت في الزوج لكى يطمئنوا على ابنتهم التي تنتقل من وسط الى وسط آخر ومن عائلة الى عائلة أخرى فلا يغتر اهل الفتاة بما يبدو لهم من مال الخطيب وما يلوح عليه من جمال بزته وحسن سرباله بل يجب التأكد من طيب خصاله وعلى ولي الفتاة ان يراعي مصلحة كريمته بين التأني والتبصر فلا يزوجها لمن ساء خلقه او ضعف دينه او لا يستطيع القيام بواجبها

الثاني عشر — ان اهم الشروط التي يبحث عنها في الزوج هي صحة الجسم وعفة النفس وحسن الخلق والاستقامة ورزانة العقل والقدرة على النفقة اللائقة بحال الفتاة التي يتخذها قرينة لان اهل الفتاة يتألمون لعوزها اكثر مما يتألمون لعوز واحد منهم ومن الغريب ان الداء المتفشي الآن ان اهل البنت لا يسألون

عن اخلاق الرجل ظانين ان سعادة ابنتهم وهناء عيشها مقرونان بتيسير من يقترن بها مع ان الفتي اذا لم يكن على جانب عظيم من التهذيب لا يلبث الا عيشة أو ضحاها حتي يتخذ الاخدان ويتبع خطوات الشيطان فيعذب زوجته من غير ذنب جنته .

وجاء في الحديث الشريف ما معناه « لينظر أحدكم اين يضع كريمته » وقال الحسن البصري لمن استشاره في تزويج كريمته (زوجها من يتق الله فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها) وبالاختصار فان الاحاطة في شأنها الزم

وقد طالما شاهدنا كثيرين من الرجال نبذتهم نساؤهم لما بدا من مساوي أخلاقهم فهاموا في شقائهم يزيدون نكرهم نكرا ويضيفون على شرهم شرا . فكم من زوجة ماكادت تستقر أقدامها في منزل زوجها حتى عادت الي منزل أبيها تبكي وتندب سوء بختها لا تريد زوجا ولا بعلا وقد قنعت بما قسم الله لها من الشقاء واتخذت الله وكيلا ! !

فتأملوا يارعاكم الله قبل عقد الزواج فيما يمر على بناتكم من هذه الاحوال !

قال بعض الحكماء . النساء ثلاث . امرأة لك . وامرأة

عليك . وامرأة لا لك ولا عليك

واما الاولى فهى البكر فقلبها وحبها لك ولا تألف غيرك .

واما الثانية فذات الولد تأكل معك وتبكى على الزوج السابق .

واما الثالثة فالمتزوجة التي لا ولد لها فان وجدتك خيرا من الاول فهي لك والا فهي عليك

وقال ايضا ينبغي ان تكون الزوجة دون الزوج باربع النسب والحسب والمال والطول والا احتقرته واستهانت به وان تكون فوقه باربع . الجمال والادب والخلق والورع .

ولله در من قال .

ألا ان النساء خلقن شتى ... فمنهن الغنيمة والغرام
ومنهن الهلال اذا تجلى ... لصاحبه ومنهن الظلام
فمن يظفر بصالحة يظفر ... ومن يغبن فليس له انتظام

﴿ واجبات الزوجية ﴾

(ماذا يجب على المرأة)

اسلفنا ان حياة الزوجين هى أصل من أصول حياة الامة و ركن من أركان وجود الشعب فاذا كانت

حياتهما قائمة علي قواعد الحكمة المشروعة والشرف الملى والاخلاق المقررة في اسفار الادب والدين فلا بد وان تكون حياة الامة كذلك أى مبنية على أصول مقدسة مؤتنسة بالفضائل ومكتنفة بالمكارم ومصونة من الرذائل ومحصنة من الدنايا فلا تصل اليها أيدي التمزيق ولا يتسرب فيها سوء التفريق بل تحيا الامة حياة طيبة كما تحيا العائلات حياة سعيدة هنيئة مرضية ولا شك ان اختلال الحياة الزوجية واعتلالها يوجبان اختلال واعتلال حياة الشعب كله لان الزوجين هما منبت الذرية التى هى قوام القومية فاذا فسد المنبت كان نباته غير صالح ولا تقوم به حياة أمة . وهذه قضية طبيعية قررها علماء العمران وفلاسفة الوجود فلا يشذ عنها حكم من احكام النشأة المدنية التي يعززها علم الغرب وتعضدها حضارة المتمدنين

على ان الاخلاق التي يجب تبادلها بين الزوجين هي تعضيدها الاخلاق التى يجب تبادلها بين الراعي ورعيته فالعائلة صورة مصغرة للامة فالزوجان مثال للراعى والرعية فما جاز على احدهما جاز على الآخر ألا ترى ان الشعوب الراقية التى فقهت اسرار العمران وامعنت الحياة وظهر لها وجوب

العمل بالقواعد المشروعة في حياة الزوجين قد نمت وكثرت وانتعشت وعمرت واصبحت تشغل حيزاً كبيرا بل ضاقت بها دائرة وجودها ومنبت نشأتها فأخذت تنتشر في الارض تبتغي الاستعمار في مجهولات الاقطار حتى اتيح لها ان تكتشف بلادا كانت في حجاب عن المدائن والممالك وشعوبا كانت على بطون الغبراء تلتحف الهواء وتشخص الى السماء ولما استقر باعث حياتها في مستقر هذا النظر اخذت تتفيأ ظلال الحضارة والمدنية في تلك الاقطار القاصية الخفية حتى ظهرت في مظهر رائع ادهش العالم وبلبل خواطر الامم وها هي الولايات المتحدة تنادي بلسان حياتها انها لم تكن الا ثمرة استعمار رجل او رجال ضربوا في مجاهل الارض يبتغون سعة منها وفضلا من بارئها وكل ذلك لم يكن الا سداً للضرورة القاضية بهذه المتاعب لايواء ذرية نبتت خير نبات فنمت وكثرت حتى ضاقت بها ارضها واحتاجت لسواها .

ومن هذا يتضح ان العمران الصحيح لا يكون الا بالمحافظة على حياة الزوجين من عبث الدسائس الشهوية والغوايات الفاسدة التى تجعل ماء الحياة يراق من غير ضابط بسبب اضطراب

في الاخلاق وهـذا مادعانا لان نشرح لقراء هـذا الكتاب واجبات الزوجين وما يجب على كل منهما لصاحبه حتي تتضح مناهج الحكمة والرشد العام بين ابناء الامة التى تمتاز بدين واضح المحجة يدعو الي الرشد ويهدي الي صراط مستقيم . صراط الحياة الشريفة والوجود النافع الذى هو أصـل العمران وباب حياة الانسان في كل زمان ومكان .

وليس ما سنذكره مجهولا كله عند عقلاء الشعب وعلماء الامة وانما نذكره على سبيل التذكرة والتبيان لالغرض غير القيام بواجب شريف مبني على الاخلاص في خدمة الزوجين الكريمين فهما متضامنان في مرافق الحياة ومتكافئان في كل الواجبات فكما ان للرجـل على زوجته حقوقاً كذلك للزوجة على زوجها حقوقاً وهذه الحقوق المتبادلة قـد قررتها شريعة الاجتماع الانساني وهيئت ظروفها حياة الانساب ولقد بالغ الغربيون في ذلك واغرقوا وقصر الشرقيون بقـدر مبالغة سابقيهم فجاءت تلك الحقوق زائدة من جهة الغرب وناقصة من جهة الشرق فزال التكافؤ واختل التوازن فاضطرب الوسط ولما كان واجب الرشد يضطرنا الى اختيار وسط مبرور يكون

قواما بين الافراط والتفريط رأينا ان نبحث عن ذلك الوسط ونبينه للقراء لعلنا نكون بذلك قد ادينا الواجب الذى انتصبنا له في هذا الكتاب

فيجب على المرأة نحو زوجها

(أولا) حسن الطاعة لان الطاعة لها رضاء وهناء وتيسير وسرور بعكس المشاحنة فانها تولد الشحنا وتنبت البغضا وتفسد عواطف الابناء وتجعل القسوة بدل الرحمة في قلوب الآبا وكلما حسنت طاعة المرأة لزوجها ازداد الحب والولاء بينهما وتوارثه ابناؤهما اذ الاخلاق المألوفة اذا تمكنت صارت ملكات موروثة يجدها البنون عن آبائهم والبنات عن امهاتهم وقد قررت كتب السنة فى ذلك مالو فصلناه لمله القراء لطوله فنقتصر منه على ما يلى

روى أن أسماء بنت يزيد الانصاري رضي الله عنها أتت الى النبي (ص) وهو بين أصحابه فقالت يا رسول الله اني وافدة النساء اليك ان الله بعثك بالحق للرجال والنساء فآمنا بك وأتبعناك وأنا معشر النساء محصورات قواعد في بيوتكم حاملات أولادكم وأنتم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعة وعيادة

المرضى وشهادة الجنايز وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى. وان الرجل اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مرابطا حفظنا لكم أموالكم وغسلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم افانشاركم في الاجر يا رسول الله »

فالتفت النبي (ص) الى أصحابه بوجهه الكريم ثم قال (هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذه عن أمر دينها) فقالوا يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي الى مثل هذا فالتفت النبي (ص) اليها ثم قال انصرفي أيتها المرأة واعلمي من خلفك ان كل شيء حسن تفعله احداكن لزوجها طلبا لمرضاته وابتغائها موافقته يعادل ذلك كله فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارا

وعن مراسيل عطا بن رباح عن النبي (ص) ما معناه ان اول فائدة يستفيدها المرء بعد الاخ الصالح المرأة الصالحة التي اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله)

وروى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال من الدرر والحكم فيقبل عليها اقبال العارف بالعلم على الاستاذ

لزوجها سجود طاعة لا سجود عبادة كما كان سجود اخوه يوسف عليه السلام)

وجاء في حديث آخر (ثلاثة لا تمسهم النار المرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه والعبد القاضي حق الله وحق مولاه)

وعن ابن عياز رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم لام سلمة (اذا أدت المرأة فريضة ربها واطاعة زوجها وحركت المغزل كانت كأنها تسبح)

وفي هذه الاحاديث ما لا يخفى من كمال الحث على اطاعة المرأة لزوجها وتعظيمه بأبلغ التحية لانها كلما ازدادت نحوه طاعة وحبا وودا واحتراما كلما ازداد بها تعلقا واعتباراً

وجاء في الحكم الفارسية ثلاثة لا يمكن تقويمها بمال الزوجة المطيعة والفرس العتيق والسلاح القوي وودداً يضامن أرادت أن يطيعها زوجها فلتطعه

وقال شيشرون الفيلسوف في كتابه المسمى (الصداقة) ان المتصادقين ربما يحافظان على صداقتهما مراعاة للاحساس ولكن هذه الصداقة لا تدوم واذا دامت فلا يكون تأثيرها عظيما كما لو جعل الضعيف منهما ادراكا سنة لنفسه يوقر بها

وبالتالي يطيع بها صديقه وبهذه الطاعة تنجلي الصداقة أكثر وتثبت اكثر وتدوم اكثر وتكون منافعها اكثر فالطاعة واجبة اذاً لحفظ الائتلاف بين قلبين وقد عرفنا ذلك اذا وجد الانسان ذكراً وأنثى فقلد قلب الذكر السلطة على قلب الأنثى »

ولنا شاهد على منافع الطاعة وفائدتها لحفظ وئام الجمعيات الكثيرة التي تأسست في أوربا وغيرها على أس الطاعة القويم فتثبت أعواما بل واجيالا ولم تزل ولن تزال ثابتة كصخرة لا تزعزعها العواصف فنشأت وكبرت وتخللت فروعها في العالم رغماً عن اضطهادات ومصاعب عديدة طرأت عليها وترى الجماعة تتألف بعض الاحيان من مئات الالوف من الاعضاء يديرها رجل واحد يكتفي بأن يفوه بكلمة حتى تنحني الرؤوس لأمره اجلالا . وتقوم الالوف منفذة لحكمه خاضعة لكلمته فلو نزعنا الطاعة من هذه الجماعات لرأينا ثائر الانشقاق والاختلاف حل محل الائتلاف والوفاق وآفة الخراب والدمار استولت عليها . وهكذا تكون شركة الرجل مع امرأته في هذا المعترك الحيوي .

والخلاصة أنه ما من امرأة تنبذ طاعة زوجها الا ويحل

بها الشقاء ويلحقها البلاء ولو كانت تحاكي الحور العين قدًّا وجمالا وشيرين لطفا واعتدالا وزبيدة كرما ومالا

ثانياً ـ النشاط لان الزوجة النشيطة تكون قدوة لخادمها في تأدية الواجبات بخلاف الزوجة الخاملة التي لا تشتغل بشيء فيستولى عليها الكسل وتميل الى الراحة الزائدة التي تضر بحالتها الصحية حيث تتخذ التواني عن العمل شعاراً والخمول دثاراً فهي نقمة على الزوج جالبة له التعاسة والشقاء وكفى أن تكون مهملة في واجباتها تؤجل وقتها العملي الى آخر لحظة ثم تؤديه بسرعة . ولا شك أن المستعجل يلحقه الزلل: وبالاختصار تكون حياة الزوج معها مرة ويلعن الوجود ولا يشعر براحة في الدنيا . وما على الوجود من ملام بل الملام واقع على امرأته المهملة لا محالة .

ثالثا ـ ومن الصفات اللازمة للمرأة حسن الخلق . لان الرجل ينفر من الرجل العبوس فكيف به في النساء

وما أكثر مضايقة الزوج الذي تكون زوجته عبوسة عنيدة في ادارتها مستبدة في أفكارها فهي تكون مهمومة الفؤاد مفتوتة القلب فمثل هذه الزوجة يطلق عليها منكدة

التماسة . جاء في القرآن الشريف (وانك لعلى خلق عظيم) «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك»

وقال النبي (ص) أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون . وروي عن النبي (ص) أنه قال «حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار» . وجاء في الحديث الشريف عن النبي (ص) أنه قال لمعاذ « يا معاذ حسن خلقك مع الناس أي عاملهم بطلاقة الوجه وجبر الخواطر وكف الأذى فان ذلك يؤدي الى اجتماع القلوب وانتظام الاحوال » وقال عمر رضي الله عنه « اذا كان في الانسان عشر خصال منها تسعة صالحة وواحدة سوء الخلق أفسدت هذه التسعة الصالحة »

فالمرأة السيئة الخلق تثير الهموم وتجلب الغموم وتميت النفس وتذهب بالنشاط وتطوي الانشراح

وقال بعض الحكماء أعوذ بالله من غضب من لا يكاد يغضب ومن غضب امرأة قادرة ، ومن غضب ذي قوة قاهرة .

وقد أجمع الحكماء على ان المرأة الحسنة الخلق تفرح النفس وتنشطها وتزيل عنها الافكار والوساوس السوداوية

لا سيما اذا انضم مع حسن الخلق لطف المحادثة .

وقال الحسن البصري حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الاذى وطلاقة الوجه

وقال بعض الحكماء « ثمرة حسن الخلق الاحسان وثمرة سوء الادب الاساءة »

وجاء في بعض الامثال (من ساء خلقه عذب نفسه)

وقال بزرجمهر (رحمتني المضايق فلم يرحمني سوى سوء الخلق)

وقال أيضا « عالجت السباع والذئاب وعاشرتها وغالبتها فغلبتها وغلبني صاحب الخلق السوء »

قال العلامة الشيخ سليمان البستاني في شرح الياذة هوميروس وجه ٢١٩ ما نصه

ليس للمرأة أن تحتقر قدر التزين لزوجها فان زينتها وحليها له لا لسواه .

ولا يكفي للمرأة ان تكون حسنة البزة جميلة الخلق ، بل لا بد ان تكون على خلق تسترق به قلب الرجل . وان لا تحتقر مجاملته بلين القول شأن اللواتي يترفعن عن التودد الى

رجالهن خوفاً من أطماعهم بهن وطلباً للتخفيف من سلطتهم عليهن . ويغيب عنهن ان مكامن الاحتقار وراء الكلام الخشن وعذب المقال يزيل الضغائن من صدور سليطات النساء وظلام الرجال »

وقال بعض الادباء « الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة . والسيء الخلق الناس منه في بلاء وهو بنفسه في عناء »

وقال بعض الحكماء « حسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة . »

ومن أقوال فقيد العلم سليم افندي البستاني « اذا ساءت اخلاق مدبرة البيت ساءت أخلاق من فيه » .

وما من شيء يحمل الزوج على الابتعاد عن زوجته الا سوء خلقها . وأين زوجة حسنة الاخلاق رقيقة الشمائل من أخرى سيئة الاخلاق غليظة الطباع فان الاولى تجذب قلب زوجها وتجمع حولها بنيها وذويها ولا ينفر منها أحد وأما الثانية فانها بسوء أخلاقها تستبعد الراحة عن بعلها وتنفر العمران من بيتها وكأنها مأمورة على التخريب والاضرار والاقفار من

أهلها للاغيار فهي شرور تمادي السرور وأكدار تحل بالدار وتسيء الديار وبالجملة لاحياة لزوج زوجته سيئة الخلق .

رابعا البشاشة : — وهي عنوان الرضاء بها تصير القفار نعيما وبدونها تمسي الجنان جحيما فهي اعظم رباط للزوجين واقوى وثام للالفين

قال بعض الحكماء العيش كله مقصور على الخريدة الصالحة والزوجة البشوشة الموافقة : والبلاء كله موكول بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العين برؤيتها

وجاء في بعض الامثال المودة جسم وروحها بشاشة الوجه

فان الرجل اذا فرغ من شغله يرجع الى منزله بعد ان اجهده التعب في مزاولة اعماله فاذا قابلته زوجته بوجه باش نسي ما الم به من التعب والنصب والاكدار فيجلس قرير العين وينام مرتاحاً ويتناول طعامه بهناء ثم يعود الى اشغاله ساكن الخاطر مرتاح البال قوى العزم لا يشغله عن اعماله هم ادارة البيت او ارضاء زوجة تمقته ولا تربية اولاد . ولا الاعتناء باجسامهم وآدابهم ويسر بانقضاء نهار الاتعاب والمشقات ليعود الى حضن عائلة ذات نظام فرحة راضية عالمة فيسمع منها اخبارا سارة

وحديثا مفرحا ويري وجها مكللا بالبشاشه

فشتان بين زوجه كهذه وزوجة عبوسة تخزن همومها الحقيقيه والموهومه في صدر ضيق لتلقيها في اذن زوجها المنكود الحظ الذي اذا عاد الى منزله تنغص طعامه وتسلبه راحته في جلوسه ونومه فهذه حالة تبلي الجسم بالمرض والعقل بالضعف والعزم بالخوار وتجعل الرجل مبتعدا عن البيت متجنبا معاشرة زوجته طالبا السلوي باءمور اضاعت كثيرين من افاضل الاجلاء واذا صبر على مضضه وكتم همه وتحمل مصابه يضيق صدره وينحل جسمه ويضعف عزمه وعقله وتسوء حاله وعقباه . ومن البديهي ان الرجل الذي ينتهي حاله بفقد كل استعداد للعمل لا يمكنه ان يتقن عملا الا اذا كان العقل متمتعاً بالهدو والسكينه خاليا من الاضطرابات والتشويش .

فرجل هذه صفته مع قرينه ينتهي به الحال الي احتقارها واعتبارها كالعدم وهي متي رأته اهمل واغفى ضاق صدرها وظنت انه يظلمها وبكت سوء بختها فحينئذ تنبت بذور الشقاق بينهما ويبتديء هذا الرجل التعيس الطالع في عيشه لا اظن الجحيم أشد نكالا منها . والمتأمل في هذه الامور يقول ان

أهلها للاغيار فهي شرور تمادي السرور وأكدار تحل بالدار وتسيء الديار وبالجملة لاحياة لزوج زوجته سيئه الخلق .

رابعا البشاشة :— وهي عنوان الرضاء بها تصير القفار نعيما وبدونها تمسي الجنان جحيما فهي اعظم رباط للزوجين واقوى وثام للالفين

قال بعض الحكماء العيش كله مقصور على الخريدة الصالحة والزوجة البشوشة الموافقة : والبلاء كله موكول بالقرينة السوء التي لاتسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العين برؤيتها

وبيانه فى بعض الامثال المودة جسم وروحها بشاشة الوجه فان الرجل اذا فرغ من شغله يرجع الى منزله بعد ان اجهده التعب في مزاولة اعماله فاذا قابلته زوجته بوجه باش نسي ما الم به من التعب والنصب والاكدار فيجلس قرير العين وينام مرتاحا ويتناول طعامه بهناء ثم يعود الى اشغاله . . لكن الخاطر مرتاح البال قوى العزم لايشغله عن اعماله هم ادارة البيت او ارضاء زوجة تمقته ولا تربية اولاد . ولا الاعتناء باجسامهم وآدابهم ويسر بانقضاء نهار الاتعاب والمشقات ليعود الى حضن عائلة ذات نظام فرحة راضية باتم لها فيسمع منها اخبارا سارة

وحديثا مفرحا ويري وجها مكللا بالبشاشه

فشتان بين زوجه كهذه وزوجة عبوسة تخزن همومها الحقيقيه والموهومه في صدر ضيق لتلقيها في اذن زوجها المنكود الحظ الذي اذا عاد الى منزله تنغص طعامه وتسلبه راحته في جلوسه ونومه فهذه حالة تبلى الجسم بالمرض والعقل بالضعف والعزم بالخوار وتجعل الرجل مبتعدا عن البيت متجنبا معاشرة زوجته طالبا السلوي بامور اضاعت كثيرين من افاضل الاجلاء واذا صبر على مضضه وكتم همه وتحمل مصابه يضيق صدره وينحل جسمه ويضعف عزمه وعقله وتسوء حاله وعقباه ٠ ومن البديهي ان الرجل الذي يشتري حاله يفقد كل استعداد للعمل لا يمكنه ان يتقن عملا الا اذا كان العقل متمتعاً بالهدو والسكينه خاليا من الاضطرابات والتشويش ٠

فرجل هذه صفته مع قرينه ينتهي به الحال الي احتقارها واعتبارها كالعدم وهي متي رأته اهمل واغفى ضاق صدرها وظنت انه يظلمها وبكت سوء بختها فحينئذ تنبت بذور الشقاق بينهما ويبتديء هذا الرجل التعيس الطالع في عيشه لااظن الجحيم أشد نكالا منها. والمتأمل في هذه الامور يقول ان

بشاشة الزوجة لمن الأمور التى تزيد الرجل تعلقا بها ٠

قيل لحكيم من أضيق الناس طريقا وأقلهم صديقا قال «من عاشر الناس بعبوس وجهه واستطال عليهم بنسبه»

فيا أيتها الزوجات اللواتي يهمهن أمر ازواجهن واولادهن ويخشين عليهم أن تجرهم القهوة الي الحان والحان الى القمار والقمار الي خراب البيوت اجعلن منازلكن محل الاستئناس واستخدمن البشاشة حتى تتولد في قلوب أزواجكن محبة الاستمرار في عشرتكن فتصبحن محبوبات مألوفات يغار عليكن أزواجكن ويتعبون أنفسهم لراحتكن ويجلبون لكن الخير والسعادة وتعشن طيبات راضيات مرضيا عنكن ذوات سمعات شريفة وأحدوثة منيفة يفتخر بكن من يعزى اليكن أو تعزون اليه من ذويكن والا فالتعاسة نصيبكن والشقاء ثمرة حياتكن المنغصة بالعدوان منكن على أزواجكن الذين اذا ضاقوا ذرعاً يتركونكن وينبذونكن نبذ النواة فتبوؤن بخسران وبيل ويعوضهم الله بخير منكن والله لا يضيع اجر الصابرين ٠

خاصة النظافة ـ النظافة للمرأة ألزم لها من الجمال لان

الجمال لا يلبث ان يضمحل متى زالت نضارة الشباب وبزوال السبب يزول المسبب وأما النظافة فهي باقية ما بقي في المرأة رمق من الحياة وقد حثت عليها الشريعة حيث ورد في الاثر « النظافة من الايمان »

وقال جاك روسو (لا يوجد في العالم شيء ينفر منه الانسان أكثر مما ينفر من المرأة القذرة وكفى بسماع هذا الوصف الممقوت باعثاً لنفور النفس)

ولا شك أن المرأة التي تهمل نظافة نفسها كأنها تدفع عنها زوجها بيدها فيزول ذلك الجاذب المقرب للرجل من المرأة ويزول معه الوفاء والهناء . ويجب عليها أن تكون ذات لباس جميل الهندام نظيف وبذلك ينمو في فؤاد زوجها الاعجاب بها

وأوصت امرأة بنتها فقالت لها «يا بنتي لا تنسي نظافة بدنك فان نظافته تحبب فيك زوجك ونظافة بيتك ينشرح منها صدرك ويتبدل من ابنائك [illegible] وتصيرين جميلة محبوبة عند زوجك ومكرمة منه ومثنياً عنك من ذويك وزائريك وكل من دخل عليك ينشرح صدره منك ويطيب خاطره وان زوجك اذا رأى المنزل وبدنك نظيفا رجاك كذلك

يفسر سروراً عظيما وينسى المشقات التي كابدها طول النهار)

واعلمي أيتها الزوجة ان السيدة مهما كانت جميلة ولم تكن نظيفة فانها تكون مثل جوهرة ملوثة بالاقذار واعلمي أيضا أن النظافة سبب في اعتدال مزاج الانسان والوساخة سبب في أتراحه وأن الجسم مثل الحديد فان الحديد اذا وضع في محل يركب عليه الصدء ويكون سببا لاتلافه كذلك الجسم اذا ترك من غير نظافة تتراكم عليه الاوساخ فتسد مسامه وتسوء الصحة: والنظافة هي خلاصة علم الصحة . والذي يعلم أن أكثر الاوباء القتالة تأتي من عدم النظافة يتحقق ضرورتها وشدة الحاجة اليها ويوقن ان من لا يعتني بجسمه فهو يفرط في حياته ويدعو اليها التلف السريع ولا تقتصر النظافة في هذا المعنى على نظافة الجسم فقط بل هي تتناول المأكل والمشرب والمنام وكل ما يمس الانسان ويباشره بحيث لو اتبعت جميع شروطها لكان المرء طبيب نفسه . وقال لاروشفوكله (النظافة احدى امهات العافية وهي بالنسبة الى البدن كالمودة والمحبة بالنسبة الي الارواح

فالنظافة جلاء لمعاني المرأة تكسبها جمالا على جمالها وتفيدها

جلالا في عيني ناظريها وكما ان المرآة اذا جليت ظهرت فيها الصور واضحه جليه كذلك المرأة اذا توخت النظافه ظهرت شمائلها وافية كافيـة تدعو الى الاعجاب وتستميل الالباب وتسحر العواطف وتكون مثاراً للالفة محركا لخواطر الضمير من زوجها الذي يستشف من نظافتها نضارة تمـلأ عينيه نوراً وفؤاده حبوراً وتتجدد في نفسه أميال لأنسه وكل هذا ايتها السيدة لازم لحياتك واجب عليك ولا يخفى ان كل مصيبة انما تحل بالبيت اذا كان بعيداً عن النظافة خصوصا في هـذا العصر التي كمل فيه الطب وعزت الحياة وقررت الحكمة وجوب استعمال النظافة في كل شيء ولا مكلف بها الا المرأة التي هي قاعدة حياة العائلة ومربية البنين والبنات ومدرسة الخلاق الامة الاولى

سادساً مباشرة أعمال المنزل :

المرأة مهما كانت مفتقرة الى مباشرة أعمال منزلها بنفسها حتى يتم لزوجها ما كان يتمناه من السرور ولا تستقيم احوال عائلة يوكل كل شيء فيها الى الخدم . لان مباشرة المرأة لمنزلها لمن اوجب الواجبات فان التي لا تدري كيف تدير منزلها

لا يلبث حب زوجها لها حتى يأخذ في الذبول

قال بعض الحكماء المرأة في منزلها سلطانة تصرف فيه أحكامها كيف شاءت وبيديها زمامه تقوده الى مهاوي الشقاء او مراتع الهناء فهي اما مطلع نوره وبشير سلامه واما نذير بؤسه ومبعث ظلامه .

فالتي تدير حركة منزلها بنفسها ولا تركن على الخدم الا عند الحاجة الشديدة تراها اجود صحة ممن يستسلمن الى الخدم الذين يعيثون في البيوت فساداً .

وقد تدعى الزوجة في بعض الاحيان انها غير قادرة على اعمال المنزل لانها قد تكون مكروهة في نظرها (وما اشق المكروه)

واكبر خطر يتناوب مالية الرجل هو موضوع الخدم فاذا كانت اعمال المنزل مما تستدعي المرنة فلا بأس من استخدام خادم او اثنين ولكن اذا كانت خادمة واحدة تكفي فلما نستخدم اثنين

ويظن بعض الزوجات ان اشغال المنزل تؤدي الى ضعف صحتهن وتلميع جمالهن واضمحلال القوى فيقللن

لعوامل الكسل والتراخي فتصرن ممقوتات في عيون ازواجهن وان لم يظهروا لهن ذلك خوفا مما عساه يحصل من النفور .

فان الكسل والترفه والتعود على كثره القعود وترك العمل مضر بالجسم ووظائف اعضائه ومؤد الى ضعف العصب واسترخاء العضل لانه موجب لضعف الحركة العضوية وانحطاط القوة الحيوية فيكون سببا لبلادة الذهن وخمود وظائف البدن وتأثره من البرد على اخف اسبابه لضعف دورة الدم المؤدي لضعف حركة الاعضاء وهبوط حرارة الجسم .

فان الاعمال العضوية متوقفة على قوة الدم وجريانه في اجزاء الجسم اذهو الذي يحمل الاوكسجين من الرئتين الى جميع اجزاء الجسم ويوصل الغذاء الى هذه الاجزاء وينقل جميع ما تحلل واستهلك من أنسجتها الى الاعضاء التي وظيفتها الافراز . والكسل موجب لضعف هذه الامور الثلاثة المهمة التي عليها مدار اعمال الاعضاء المختلفة القائمة بضروريات الحياة وخصائصها المتنوعة وافعالها المتباينة اذانه كما تقدم يضعف الحركة العضوية فتضعف الوظائف الحيوية وأهمها الحركة التنفسية التى بها يقل مقدار القوي الممتصة من الهواء الجوي ويترتب على ذلك

اولا ـ برودة الدم وانحطاط القوة التي يترتب عليها خمول الحركة العضوية لنقص القوة المنبهة لها من الدم وهبوط الحرارة البدنية وحصول سوء التغذية العمومية .

ثانيا ـ عدم تطهر الدم وفساد كراته الحمراء بغاز حمض الكربونيك وغيره لانه نظراً لضعف قوة الحركة التنفسية يزداد مقدار هذا الغاز في الدم فيثبت على كراته الحمراء ويضعف قوتها لامتصاص الاوكسيجين ولذلك تضعف حيوية الدم .

ثالثا ـ حبس فضلات الجسم بسبب خمول الاعضاء وقلة الاحتراق لان وجود مقدار غير كاف من الاوكسيجين في الدم يضعف القوة المنبهة وينشأ من ذلك فتور الحركة العضوية وقلة الاحتراق في الفضلات البدنية .

رابعا ـ ينبني على ضعف الدم وتراكم غاز حمض الكربونيك على كراته الحمراء حصول ضعف في المجموع العصبي والعضلي فتضعف ضربات القلب وجريان الدم وتقل المنبهات الحيوية للدماغ والاعصاب المحركة والحساسة بسبب نقصان خواصها كالاوكسيجين وعناصر التغذية وبذلك تنحط جميع الوظائف الحيوية وتحصل تكدرات التغذية العمومية وانتشارها في جميع

الانسجة العضوية وخمول في القوى البدنية العقلية

حيث اتممنا الكلام على مفسدات الهضم ومضعفات الجسم ومضاره فيجمل بنا ان نختم القول .

اولا : بان من الضروري جدا لكل انسان أن يبذل الهمم في اتباع ما تقدم من القواعد الصحية والتدابير الوافية التي يحفظ بها نفسه من هجوم الداء فلا يحتاج ان شاء الله لاستعمال الدواء الذي يخيب في كثير من الاحوال وربما كان جالبا لزيادة الاسقام والاضمحلال ولا يخفي ان حفظ صحة موجودة أفضل من طلبها وهي مفقودة

ثانيا لا بد من العمل على الشروط الصحية المتعلقة بالاشغال البدنية والعقلية احترازا عما ينشأ عن اهمالها من الامراض الذاهبة بنفيس الصحة وطيب المنام .

وللعمل فائدة اخرى وهي ان المراه اذا حل بها لا سمح الله صرف من صروف الزمان او قلب لها الدهر ظهر المجن فيتحول اليسر عسراً فتكون قد تعودت . وجاء في الحديث الشريف اخشوشنوا فان النعم لا تدوم "

وليقتدي نساء هذا العصر في خدمتهن المنزلية بنساء

رسول الله (ص) ونساء اصحابه .

قالت عائشة رضي الله عنها كنت افتل هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتقلد هديه . وقالت ما رأيت صانعا للطعام مثل حفظة

وقالت في زينب بنت جحش لم ار امرأة قط خيرا منها في الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم خدمة واشد ابتذالا لنفسها في العمل

قالت اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها

تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ومملوك ولا شيء غير فرسه وناضجه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضجه واعلفه واستقي الماء واعجن وكنت انقل النوى على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الى ابو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس

وان امبراطورة الروسيا تخيط اكثر ثيابها بيدها وترى اللذة في ان تمسك ابرتها كل يوم وتعد اللازم لابناء الفقراء والفقيرات فاذا انتهت من ذلك تفننت في صنع ما يروق في

عيني زوجها الامبراطور حتى انها قدمت له في احد الايام منديلا من صنع يديها فاجازها عليه بأحسن عبارات الشكر الرقيق وتناوله منها قائلا (ان منديلا صغيراً كهذا تصنعه يدك يا الكسندرا خير عندي من كل ما في اسواق لندن وباريز)

« كتبت احدى الكاتبات الانكليزيات مقالة في النساء الاميركيات واشغالهن البيتيه ابانت فيها ان ربات المنازل في كثيرات من ولايات اميركا يستغنين عن الخادمات ويشتغلن في منازلهن بايديهن . قالت « وقد اجتمعت بمئات من النساء المتزوجات اللواتي تربين في المدارس فلم اجد في منازلهن خادمة ووجدت ان ازواجهن من اطباء ومحامين واصحاب جرائد وملاك وقسوس ينهضن باكراً ويساعدونهن في اعداد طعام الصباح . والنساء يعملن اعمال البيت الشاقة كلها حتى غسيل الثياب وكيها »

« فمسألة الخادمات لا وجود لها عندهن كما عند اخواتهن الانكليزيات وعند نسائنا وترى الواحدة منهن تحسن الضرب على البيانو وفهم اليونانيه القديمة واللاتينيه ولا تأنف مع ذلك من ان تكون مرضعا ترضع اولادها وتطبخ الطعام وتغسل

الثياب بيديها »

« فعسى ان تقتدي المرأة الشرقية بها وتقلل من التشبه بالباريسيات في التنعم والترف فلا نعود نجد بين رجالنا احدا يشكو عدم الزواج لانه فتش عن فتاة تحسن الضرب على البيانو وهز سرير الطفل بيدها فلم يجد كما سمعنا بعضهم يقول » (مقتطف) شهر اكتوبر سنة ١٩٠٦

ولعل فتياتنا من بنات هذا العصر الذهبي ينظرن في صحائف هذه العبر ويخترن من درر هذه الشمائل المروية عن اخواتهن في الغرب فيكتسبن نشاطا جديدا بعد التربية القويمة ويكن ربات منازل عاملات على سعادتها قائمات بشؤونها خادمات لبعولهن مربيات لبنيهن مشتغلات بتدبير شؤونهن مشرفات على كل عمل يصون ثروة البيوت من ايدي العبث وخزائن الازواج من شرور الترف والابتذال كما فعلت غانيات فانقلبت انعمهن بؤوسا وتحول سعودهن نحوساً وبتن نقمة على آلهن وازواجهن ومضغة في افواه الطبقات مشوبة بالسيئات واللعنات . أما المنتظرات من الفتيات الناشئات فلا بد وان يكن زينات العائلات وموضوع سعادة البعول ومنبع نعيم

الحياة الهنيئة والراحة المريئة فلا يجد الغرب بعد ذلك على الشرق حجة فقد ظهرت المحجة وما قصر عائل في الانفاق على تربية بنيه وبناته مهما كلفه ذلك والانام على ذلك شهود

وفي هذه الاقوال من الاشارة الى وجوب قيام المرأة باعمال المنزل ما يكفي عن الاطناب في هذا الموضوع

سابعاً التبكير : هو نشاط المرأة وانتعاشها وشعورها دائماً بأنها مدينة للرجل بهيئة اسباب راحته واحياء شعائر هنائه فتمتلئ نفسه بعواطف الراحة والطمأنينة والارتياح والاذعان للواجبات المتبادلة وليس التبكير الا انتهاز الفرض لاداء الوظائف البيتيه قبل ضياعها فتكون سيدة البيت عاملة على قضاء واجباتها بلا تراخ ولا توان

ولا شك ان القيام باكرا من علائم الجدوالاجتهاد . وما اصعب على الرجل ان تكون امرأته كسولة لا يوقظها من نومها الا هو بيده فمن الواجب على الزوجه ان تقوم من النوم قبل زوجها لا للتكحل والتفنن في الملبس وتزجيج الحاجبين وتحمير الوجنتين وتبييض العنق وتكثير الحلي والتضمخ والتشدق بالابانة تاركة البيت فوضى لخادمتها بل للعمل والسعي

لان البيت كالسفينة لا تسير بلا ربان ولو كثر ملاحوها فان الكثرة تكون سببا لغرقها ان لم يكن فيها من يحسن ادارتها .

ان جلالة امبراطورة المانيا تنهض من نومها الساعة السابعة صباحا ثم تخرج الساعة الثامنة لادارة شؤون القصر وترتيب اعمال الخدم ثم تلاحظ بنفسها نفقات القصر وحساباته وتقتصد كل ما لا لزوم له سيما في نفقتها الخصوصية .

هذا فضلا عن ان مباشرة المرأة لاشغال منزلها امر يجعلها على الدوام في نشاط وصحة زائدة خصوصا المرأة الشرقية التي ضرب عليها الحجاب اذ هي في حاجة الى الحركة والعمل اكثر من غيرها

وان التبكير من البواعث على النشاط المكتسب من الهواء البليل المنعش الذي يملأ الجو على اثر الندا والطل الذي تجلل به الازهار والاشجار في صباح كل نهار والمرأة بلا ريب هي زهرة حياة الرجل ولا سبيل الى ذلك الا بتبكيرها وسعيها على تدبير شؤونها واعداد معدات الراحة لزوجها قبل ذهابه الى عمله اليومي . وان الزوج اذا قام من نومه ورأى شريكة حياته مهتمة بشأنه تعد ما يلزم له في الصباح يسر

سروراً عظيما ويتهلل وجهه بشرا وحبورا ويزيد ميلاً وحبا لزوجته واعجابا لاخلاصها له وعملها لراحته وهنائه

ثامنا . الاقتصاد — هو الزم الخصال المشروعة واوجبها على المرأة فان الاقتصاد هو روح التدبير وحياة النفس واشعارها بالمستقبل : فكل الواجبات السالفة لا تقوم الا بالتدبير وهو لا يقوم الا بالاقتصاد

واذا تحلت المرأة بكل الصفات الفاضلة ولم تكن مدبرة مقتصدة فقد عرضت حياتها وحياة العائلة للشقاء والبلاء وانحت على النعم بداوعي الزوال والفناء فالاقتصاد مشروع واجب الاداء امر به الحق ونهى عن الاسراف كما نهى عن التقتير وطالبنا بالوسط وهو قوام بين الافراط والتفريط : قال تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً » (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)

فالغرض من الاقتصاد ان لا تصرف الزوجة قرشا في غير محله فهذه الصفة يشعر كل شخص باحترامها لما فيها من النفع العظيم وهي لازمة لكل متدبرة في عواقب الامور سواء

كانت العائلة في رغد ورخاء أو ممن كانت مراكزهم في أواسط الحياة وهذه الصفة من الصفات الضرورية للزوجة لانها تتوقف عليها طريقة المعيشة اذ بالاقتصاد يقوم نظام العائلة وتربو ثروتها

وجاء في بعض الامثال (لا عفة كالامانة ولا غنى كالقناعة ولا سعادة كالاقتصاد)

فالزوجة المسرفة عدوة لنفسها آفة على زوجها تهلك بيدها ثمرة اعماله بخلاف المقتصدة فانها ممدوحة العمل محمودة الاثر فالمقتصدة بانية والمسرفة هادمه وشتان بين التعمير والتخريب

(زينة المرأة الاقتصاد)

لحضرة الفاضلة الآنسه منتهى مطر

« الزينة دأب المرأة في كل العصور وعند سائر الامم ولكنها كانت في العصور الخالية تجعل زينتها على قدر طاقتها وكان لكل طبقة من الناس طراز من الملابس ودرجة من درجات الزينة فكنت اذا رأيت المرأة علمت مقدار غناها أو فقرها من النظر الى ملابسها اما الآن فانك لا تكاد تجد فرقاً بين ملابس الاميرة وملابس الفقيرة ولا ترى كبير

اختلاف بين زينتيهما . وقد ترى الفقيرات اكثر رغبة في التبرج والبذخ من ذوات اليسار فبعد أن كانت زينة المرأة سببا لسعادة زوجها اصبحت علة لتعاسته ومقدمة لفقرة خصوصاً عند أواسط الناس والفقراء . وعبثا يحاول هؤلاء إفهام نسائهم ان الاسراف ضرب من الجنون وان العاقل من ينفق على قدر طاقته ويمد رجله على قدر بساطه

« فالمرأة التي تغفل أمر الاقتصاد وتستغرق في حب الزينة أو مجاراة أهل الموضه من الموسرات تكون سببا لشقاء زوجها . ولا نظن عاقلة ترضي بذلك

« ولا يخفى ان مقام السيدة لا يتوقف على غلاء أثوابها وكثرة مجوهراتها وانما هو يتوقف على خصالها وسمعتها واقتصادها . وليس جمال الثوب بغلاء ثمنه وانما هو بترتيبه وهندامه » (نقلا عن مجلة الهلال الغراء باختصار)

فكم من عائلة وقعت في عسر لعدم مراعاة المرأه اقتدار بعلها واقتدائها باللواتي من الخطأ ان تقتدي بهن . ما أجهل المرأة التي ترضى بعيشة العسر الداخلية للتظاهر بما تتوهم انه يعززها ويكرمها في نظر غير زوجها فالعاقلة توطد أركان بيتها وتقوي

دعائمه بمراعاة أحوال بعلها وجعل نفسها قيدا تغل به يده اذا أراد اسرافاً وتبذيرا

وجاء في بعض الامثال « النساء زلازل تهدم اثبت البيوت أوصخور تشاد عليها أكثرها متانة فتقوى على صدمات العواصف والسيول الجوارف »

قال الاصمي سمعت بعض العرب يقول « من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر » وجاء في بعض الامثال « لا اشبه بالمجنون من المسرف ولا اشبه بالميت من ساقط الهمة »

ومن الاحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك (انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس) وحديث « ليث في السرف شرف » وحديث « ما أحسن القصد في الغنى وما أحسن القصد في الفقر وما أحسن القصد في العبادة » وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه « اني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد » وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ان الله يحب القصد ويكره السرف والتبذير) وعنه أيضاً « اصلحوا

أموالكم التي رزقكم الله فان اقلالا في رفق خير من اكثار في خرق » وقال الامام علي رضي الله عنه « ما اعال من اقتصد » وقال معاوية (حسن التقدير نصف المكسب وهو نصف المعيشة) وعنه أيضا « ما رأيت تبذيراً الا والى جنبه حق مضيع » وقال أبو حنيفة « لاخير فيمن لا يحفظ ماله ليصون به عرضه ويصل به رحمه ويستغني به عن لئام الناس » وقيل ما وقع تبذير في كثير الاهدمه ولا دخل تدبير في قليل الا اثره

ولله در من قال

أنفق بمقدار ما استطعت ولا تسرف وعش عيش مقتصد
من كان فيما استفاد مقتصدا لم يفتقر بعدها الى احد

قال لويس الثاني عشر « أفضل أن أري رعاياي يضحكون على بخلي من ان اراهم يبكون على اسرافي »

وما احسن ما قاله أحيحة بن الجلاح

كل النداء اذا ناديت يخذلني الا ندائي اذا ناديت يا مالي

قال المستر كبدن « الناس رجلان مقتصد ومسرف اي موسر ومعسر فالبيوت العظيمة والمعامل الواسعه والسفن

الكبيرة والقصور الشاهقة عملها المقتصد الموسر على كتف المسرف المعسر هذه شريعة طبيعيه وكل من يعد الناس بالتقدم بواسطة الاسراف والكسل فهو كذاب خداع »

وقال احد الحكماء : ليس الاسبيل واحداً لبقاء الانسان في الحالة التي هو فيها اذا كانت حسنه ولارتقائه الى أحسن منها اذا كانت رديئة وهو ممارسة الاجتهاد والاقتصاد والنزاهة والاستقامة هذا هو السبيل الوحيد للتقدم وهذه هي الواسطة التي يتقدم بها الانسان على الدوام »

«فاكتساب المال بالحق وانفاقه بالقصد من اهم الامور لان الاول عنوان الاجتهاد والاستقامة والثاني عنوان سداد الرأي والنظر في العواقب . وما المال مكتسباً لسد الحاجات من اكل وكسوة فقط بل هو اساس عزة النفس والاستقلال » .

وهذه اهم امثلة الاقتصاد من مجمع الامثال للعلامة السيد احمد الميداني

شر المال الذي لا يثبت مع صاحبه .

التدبير نصف المعيشة

الدراهم مراهم

الدراهم بالدراهم تكتسب

ان الحبيب الى الاخوان ذو المال

ليس للامور بصاحب من لم ينظر في العواقب

لا مال لمن لا يشفق على ماله

من الحبة تنشأ الشجرة . اه

ويروي ان لقمان قال لابنه «استغن بالكسب الحلال فانه ما افتقر احد الا اصابته ثلاثة خصال رقة في دينه وضعف في عقله ووهن في مروته واعظم من هذا استخفاف الناس به. وقال عبد الرحمن بن عوف ياحبذا المال اصون به عرضي واتقرب به الى ربي .

فانظرن رعاكن الله معاشر الزوجات كم اطنب بفوائد الاقتصاد الملوك والامراء والشعراء والحكماء فالاقتصاد جدير بكل امرىء لما عهد للانسان السبيل الى الخير ويحمله على تدبير كل امر فيه شد ازر الثقة وبذلك يرتع الانسان في بحابح السراء ويتنزه في رياض من السعة والرخاء فلا تمس نعماه يد الفاقة .

ومن لا يرى بين معارفه اناسا كثيرين كانوا اجراء في اول حياتهم وهم الآن يملكون العقارات الكثيرة والاراضي الواسعة وانا سا غيرهم كانوا يجرون اذيال الفخر ويتنعمون بالاموال ظانين ان الدهر لهم مسالم فاصبحوا وهم على بساط الفقر وما سبب ذلك ؟ اسرافهم وتبذيرهم لكثرة مطالب نسائهم

ولا يؤلمك ايتها المرأة توقي زوجك قصداً في ماله وحرصاً على مستقبل عياله فان ذلك ليس منه غضاً عنك ولا اغضاء عن مطالبك بل سعيا وراء راحة دائمة ومتاع لبنيك منه مستتر وان المرأة التي تكره زوجها على اسراف لأجل غاياتها وزينتها لعدوة له غير صديقة ولا محبة لخيره ولا قائمة بواجبات الزوجية ولا عاملة لشمائر حياة العائلة . والا افضلت ان تعيش عيشة وسطا دائمة على أن تعيش مترفة في وسط اسراف مؤقت ينتهي بشقاء الفاقة وتعاسة المتربة فيتبدل الهنا شقاء والولاء جفاء وخير للمرأة ان تكون لمال زوجها حفيظة لا ان تكون دافعة به الى مهاوي البذخ الفاني والترف المضني وهذه عظة لا حاجة لها الى برهان ودليل فكم من قصور هوت وكم من عائلات ذوت واضحت في فقر مدقع بسبب ذلك البذخ

الذي لا يقوم على تقوى ولا يبني على وفاء وقد قدمنا في هذا الباب ما فيه مقنع يغني عن كثير اهملناه لضرورته ولاجماع الكافة على وجوب وجوده كالعفة والامانة والتصون من مظان ثلم السمعة بأي وجه والمحافظة على الشرف والعرض من قوارص الانتقاد فلا يجوز للمرأة ان تبدي زينتها لغير زوجها ومن في حكمه ولا ان تمشي في الاسواق تميس كالغزلات وتبدي اعضاؤها لابناء الشهوات الذين يرون في مداعبة النساء ومشاغبتهن حظوظهم ويرون انهن لا يستنكفن منهم ذلك التحرش ولا ينكرنه عليهن بدليل خروجهن من المنازل بلا ادب ولا استحياء مع ان الشرف والادب والدين يحرم كل حركة تبد من المرأة تغوي الفتيان وتستميل الشبان وتثير اشجان الشهوات في نفوس الفاسقين فهذا كله وما يلحقه لم نتكلم عنه لانه معروف من الواجبات بالضرورة اذ تشعر كل زوجة بأنها مكلفة بأن لاتشغل نفسها بغير ما يرض الله وزوجها فلا تعبث بحقوق الشرف . والفضيلة ولا تنزع الى سفاسف الرزائل ودنايا الاثام وفي ما قدمناه كفاية لمن يردن من الزوجات ان يكن شريفات نزيهات محبوبات مكرمات

مبرورات مرضي عنهن من الله ومن ازواجهن وذويهن والسلام

﴿ ماذا يجب على الرجل نحو زوجته ﴾

المرأة ولا مشاحة بهجة الكون وزينته فهي الزهرة الزاهره التي تبهرج الكون بألوانها وتنعشه بشذا ذكي عطرها وهي المحافظة على تجديد ديمومة الجنس البشري بل هي شعاع الحب الذي يبدد بنوره ظلمة بلادة القلب ويولد حرارة الحياة في الحواس وفي النفس فهي التي أمهرها الله جمال الصورة وكمال الشكل فبجمالها الساحر ودعتها الآسرة ونتاجها المعزي نالت دولت عز لا تدول وسلطان كرامة لا يقيد وقوة نفوذ لا ترد فهي بجمالها ودعتها ونتاجها السيدة المالكة على القلوب (١) «هي تلك الطفلة الصغيرة التي تشارك الطفل في العابه وتسابقه فتسبقه في جمال الخلق وسرعة الخاطر وحدة الذهن. هي تلك الصبية التى تسابق الصبيان بنشاطها وطاعتها وازعانها وانقيادها وسلامة بنيتها واستعدادها لكل عمل يطلب منها.

(١) نقلا عن مجلة انيس الجليس الغراء

بل هي تلك الفتاة التي يرنو الفتى اليهـا متصاغرا متذللا راجياان تشمله بلفتة أو ترمقه بنظرة اما هي فتعلو فيتصاغر فتنفر فيتدانى وتتيه فيخضع وتحجب فيناغي الهوا والشجر والطير وما اختفى وظهر ليبلغ اليهـا شدة تملقه بهـا وتذلله أمامها الى ان تسمح بكلمة وتفوه بعبارة فتصبح وهي الآمرة الناهية والسيدة المطلقة وصاحبة الكلمة النافذة والقول الفصل الى ان تصير زوجة مشاركة وقرينة معضدة ومقاسمة مخففة ثم اما مربية مهذبة فتضع الحجر الاول في بنا النظـام الاجتماعي»

لقد اقتضت حكمة الله تعالى انه خلق الرجل أقوى جسدا من المرأة فقبض بقوته على زمام الحياة الدنيا وتولى مهامها بيده فسطا على المرأة وتسلط عليها اذ لم يكن لديه من هاتيك الازمنة المتغولة في القدم رادع أدبي أو ديني يردعه عن هذا العمل الوحشي وظل الامر كذلك حتى رسخ في ذهن المرأة نفسها انها انما خلقت لاجله فخضعت اذ ذاك لحكم الطبيعة وطاب لها العيش راضية بما هنالك من العبودية الجائرة التي سلبتها قسما كبيرا من معارفها العقلية ولما ظهر الاسلام ارتقت المرأة كما نص عليه القرآن الشريف (ولهن مثل الذي عليهن

بالمعروف (١)

« هذه كلمة جليلة جداً جمعت على ايجازها ما لا يؤدي بالتفصيل الا في سفر كبير فهي قاعدة كلية ناطقة بان المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق الا أمراً واحداً عبر عنه بقوله (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله (الرجال قوامون على النساء) الآية وقد احال في معرفة مالهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في اهليهم وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم فهذه الجملة تعطي الرجال ميزانا يزن به معاملته لزوجة في جميع الشؤون

والاحوال فاذاهم بمطالبتها بأمر من الامور يتذكر انه يجب عليه مثله باذائه ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه انني لاتزين لأمرأتي كما تتزين لي لهذه الآية . وليس المراد بالمثل المثل باعيان الاشياء وأشخاصها وانما المراد ان الحقوق بينهما متبادلة وانهما اكفاء فما من عمل تعمله المرأة للرجل الا وللرجل

(١) نقلا عن مجلة المنار الغراء مقتبسا من تفسير الامام الحكيم الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

عمل يقابله لها ان لم يكن مثله في شخصه فهو مثله في جنسه فهما متماثلان في الحقوق والاعمال كما انهما متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعمل اي ان كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه وقلب يحب مايلائمه ويسر به ويكره مالا يلائمه وينفر منه فليس من العدل أن يتحكم احد الصنفين بالآخر ويتخذه عبدا يستذله ويستخدمه في مصالحه لاسيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لاتكون سعيدة الا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه اه ٠

فاذا سلك الزوجان بحسب هذه الآية كانت عيشتهما الذ وعشرتهما اهنأ فكثيرا ماتكدر كأس صفائهما بسبب استعلاء احدهما على الآخر لان هذا الاستعلاء ينجم عنه انانية المستعلي ويفضي الى احتقار المستعلى عليه وما اشد غرور الرجل الذي يعتبر نفسه سيدا لامرأته فيعاملها معاملة الامة اذ يكلفها اكثر من واجباتها ويترفع عن معاشرتها ولا تكون عنده الا بمنزلة الخادمة وفي بعض الاحيان يتصرف الى امتهانها واحتقارها وتعنيفها والتنديد بها وسبها وشتمها الى غير ذلك مما ينكر على المرأة في بعض الاوقات كزوجة ثم يعاملها في سائر

الاوقات كأمــة او اقل من امة والعيشة الزوجية التي لا يكون الزوجان فيها متساويين بالكرامة فـلا امر من شرابهما ولا اخشن من عيشتهما وهي الحائل العظيم دون ارتقائهما والعقبة التي لا ترتقي للاصول الى السعادة والهناء .

ولعمري ان امتهان المرأة وسوء معاملتها والاساءة اليها امور ذات عواقب وخيمة بل من اكبر العوامل على تفريق قلوب الاسرة وتشتيت الجامعة البيتية بل هي من اقبح ما خدش به وجه الآداب العيلية . لان البيت الذي تهان المرأة فيه وتضرب تحت سقفه يخلو طبعا من عاطفة الحب العائلي والولاء الزوجي والاحترام البنوي وبالتالي من كل العواطف السامية والشعائر الشريفة التي يجب ان تكون شعار العيلات الصغيرة التي تتالف من مجموعها الامة

ومن يستسهل اعمال المرأة وعليها القيام بأعمـال منزلها وجعله جنة تصدح فيها بلابل السكينة والراحة والحبور وتجري منها ينابيع المحبة والاخلاص والوداد حتى لا يلاقي رجلها الا مايسره ولو كانت نفسها سئمت الحياة وكادت تبـلغ التراقي من التعب والكدر؛ نعم ان في حياة المرأة اتعابا اثقل من اتعاب

الرجل . وحسبك سهر الليالي فكم من ليلة لا يذوق جفنها الكرى تحييها في السهر علي المريض ورجلها يملأ المكان غطيطا وجخيفا ونخيطا وهي تقول اتركوه لا تزعجوه فهذا ليس من شغله ولا من متعلقاته

انظر الى الاوروبيين حتى الدرجة الوسطى والدنيا منهم تتمثل لعينك حالة العيلة الحقيقية اذ ترى هناك ما لا ترى له أثراً عندنا من الائتلاف بين أفراد العيلة من كبيرها الى صغيرها ترى عندهم المشاركة في الحياة الاجتماعية على أجمل صورها وأبهى هيئتها وترى التضامن العيلي على أبدع أشكاله وأسمى أنواعه فاذا طرقت بابا لهم في ساعة تناول الطعام مثلا لوجدت العيلة حول المائدة تمثل لك الهيئة الاجتماعية وقد قام في صدرها الاب (الرئيس) واحاط سائر اعضاء تلك الهيئة به ودار الحديث بين الكبار الذين يعرفون والصغار الذين يجهلون فأولئك يفيدون وهؤلاء يستفيدون والاب الرئيس يدير نظام ذلك الاجتماع . فما أبهى وأجمل مثل هذا الالتئام ؟ بل ما أبهى وما أجمل — على قول داود النبي والملك — «أن ترى أولادك حول مائدتك كغراس الزيتون»

فقابلوا بيننا وبينهم تجدوا الفرق شاسعاً والبون عظيما فالرجل عندنا يأكل وحده وامرأته واقفة أمامه وفي احدى يديها كوبة الماء وفي الاخرى منشة ولما ينتهي تأكل فضلات طعامه. فكيف يتربى عندها عاطفة الحب لزوجها وهل من العدل والانصاف أن يعامل الرجل زوجته هذه المعاملة ؟

والتاريخ يروي لنا جليا انه ما ارتقت أمة ولا ارتفع لها شأن الا بتقليدها الامم القابضة بيدها على دفة سياستها . ولكن مما يؤسف القلوب ويبكي العيون اننا لا نقلدهم الا في الامور التافهة مثل زينتهم وملابسهم . وكان الاجدر ان نقلدهم في صفاتهم العالية مثل حبهم للوطن والوئام العائلي بينهم وسعيهم في ترقية عقول الابناء والبنات لتتكون منها العائلات على نظام يكفل راحتها وهناءها ويمهد للزوجة الحصول على حقوقها. فاذا نظرنا الى ارتقاء المراة في الغرب وسعيها في أن تنال حقوقا هضمها النظام القديم لتكون مساوية للرجل في الحياة الاجتماعية كما نسمع عن نساء بريطانيا العظمى وكما حدث في جرمانيا من الجهاد النسائي الذي انتهى بنوال النساء كل حقوق الانتخاب والعمل في الوظائف الرسمية والاعمال

الحرة كالقضاء والمحاماة مثلا نجد ان بلادنا الشرقية لا يطلق عليها لقب الارتقاء الا اذا ضربت على وتيرة تلك الامم الراقية في تحرير العقول على اختلافها من قيود العادات التي ادخلت على الاسلام وليست منه فان الاسلام يأمر بالمساواة بين العنصرين ويحض على احترام النساء وكذلك السنة باعتبارها مفسرة للقرآن تأمر بالاحترام والرفق بها وجعلها في حالة تعرف منها انها كائن مكرم ذو حقوق موفرة وعادات محترمة وعهود غير منقوضة .

وانا اذا لاحظنا في حياتنا الاجتماعية آداب الاسلام التي نراها تظهر في اخلاق الغرب وتخفى في بلاد الشرق لامكننا ان تكون عائلاتنا على نظامات شريفة بعيدة عن المكدرات والمشوبات ولكننا فطرنا على استعباد قوينا لضعيفنا اياكان ومن اي عنصر يكون فالمرأة مغلوب على امرها دائما لانها مقيدة بسلطة الرجل لا تتعداها ولا تخرج عنها ولو كانت ظالمة غير منطبقة على المشروع في آداب المعاملات العائلية والرجل غالبا دائما لا ينظر الى المرأة بعين الاحترام الواجب والرحمة اللازمة لحياة العائلة ومن هذا جمدت العواطف . فلا تسيل بحرارة

الاعتبار ولا تتحرك بعوامل العظة والادكار حتى فاتنا الغربيون بمراحل شتى وقد كنا تركناهم وراءنا وصعدنا درجات الرقي المدني الذي دون التاريخ فضائله ومزاياه

وانا ننتقل من العموميات الى عوائدنا الحاضرة وما الفه الرجال عندنا حيال حقوق المرأة المهضومة فان قتاد الظلم أصبح مجازاً للعائلة بأسرها الا فرق بين الزوج والزوجة وذريتهما فكان هضم حقوق المرأة اضطرها الى اساءة العشرة مع الرجل فساءت حاله وتولد من هذا سوء التربية للذرية ففسد نظام العائلة وباتت مهددة بأخطار متنوعة وارزاء مختلفة

ومن العبرة أن الرجل اذا دخل بيته متكدراً متغيظاً لا يسمح لامرأته بأن تظهر اقل كدر أو غضب بل تقابله بطلاقة المحيا . مع انه ربما كان يوبخ الخادم أو الخادمة بصوت مرتفع ويضرب ابنه لاقل سبب أو ذنب أوهي من غزل العنكبوت وربما وصل به الحال الى توبيخ زوجته ومع ذلك فلا تجاوبه بل تلزم الصمت وتصب ماء على نار غضبه المضطربة فتخمدها بلطفها وبشاشتها ولين كلامها محافظة على اللطف والحنو محترمة له في كل حال

وانا لا نرى جريدة سياسية أو مجلة علمية بدون ان نرى فيها كتابات متعلقه بالنساء منها ما هو نصيحة للزوجات أو مشورات للوالدات ومنها ماهو كلام للعرائس وغير ذلك وكل هذه الكتابات ترمي الى تكليف المرأة بالخضوع والطاعة والرزانة والاعتصام بالصبر الجميل والتجلد عند حلول الاوجاع واحتمال كل الاكدار والآلام والنكبات بالشكر والثناء وأن يلاقين ازواجهن بالبشاشة في كل وقت فهذه بعض الواجبات التي يطلبها المتزوجون من زوجاتهم ويطلبون منهن القيام بها . ومع ذلك لانرى أحداً تصدى وكتب شيئاً متعلقاً بالرجال اللهم الا النزر اليسير .

ولذا فانا أضع هذه النصيحة للرجل نحو امرأته راجيا ارباب الاقلام ان يحذوا حذوي في بيان ما يجب على الرجل نحو عائلته خصوصاً شريكة حياته وهي الزوجة المكافأة بالطاعة العمياء لزوجها فيلزم ان يكون لها من اخلاق زوجها ما يخفف آلامها ويحملها على الرضى والنظر في مستقبل المعيشة وان أرباب الاقلام لو أعاروا هذا الموضوع بعض الاهتمام ليكونون قد قاموا باظهار واجب مهمل تشكرهم الامة عليه ويكون لهم

من كل انسان ثناء خاص بقدر أهميته في العائلة المصرية المفتقرة الى نظامات عائلية يجب تبادلها خصوصا في البيوتات الكبرى التي هي القدوة للصغرى وعلى هذا أقول بكل قوة واقدام انه يجب أن يلاحظ كل رجل النصائح الآتية :

(١) أيها الزوج اظهر لزوجتك الحب الطاهر والود الصحيح والحنان والاكرام لكي يبقى رباط الزواج متينا وتعيشا في نعيم دائم .

(٢) كن صبوراً في معاملتها فهي فارقت اهلها لاجلك وانت مافارقت أحداً لأجلها فهي تخدمك ومادامت في عصمتك لا يمكنها ان تتزوج سواك وانت في امكانك ذلك ويمكنك ان تطلقها وهي لا يمكنها ان تطلقك وهي تخافك وانت لا تخافها

(٣) تجنب الغلظة في الكلام معها فانه مما يخفض قدر الرجل عند زوجته ويحط من شأنه ويورث النفرة والخصام وبذلك تنحل عرى المعيشة المنزلية وتتبدل مسراتكما بالاحزان وراحتكما بالاتعاب

(٤) لا تغفل عن تلطف امرأتك لك وقابلها بأحسن

منه وان تراعي في ذلك الاعتدال والتوسط فلا تكثر من المزاح والمداعبة معها الى مايسقط هيبتك ووقارك من نفسها

(٥) لا تكن ابدا خشن الطبع ولا عبوساً في وجه امرأتك ولا غضوباً واذا ابدت لك نصيحة أو القت اليك قولا فاصغ اليه وان يكن قليل الجدوى لان اقل ازدراء بأقوالها يؤثر فيها تأثيراً عظيما

(٦) امنع زوجتك عن معاشرة الجاهلات اللواتي تمضين فراغهن في شقشقة اللسان ذماً في فلان وفلانة، وفلانة عندها كذا وزوجها احضر لها كذا (يابختها ؛ ياهنا ها !) فهؤلاء الجاهلات معاشرتهن سم قاتل وعذاب واصب

(٧) اصفح عن بعض ما يفرط منها من الزلات والسقطات البسيطة والغضب اجتنابا لاسباب الشحناء واجتلاباً لانواع المودة واستصفاء للقلوب بالمحبة

(٨) يجب عليك ان تفهمها ما الوالدية واين مكانها من الاسرة وبالتالي من الهيئة الاجتماعية

(٩) كن لها مثالاً تستفيد منه وليكن عملك مقرونا بالاحترام لشخصها لكن لا تفرط في الاحتفاء بها والتعظيم

لهما وليكن ذلك على قدر ما تستحقه بمقامها الزوجي ومكانها الوالدي

(١٠) تلطف في تأديبها وذلك بأن تقدم لها من المواعظ الحسنة والتحذير والتخويف . قال بعض الحكما «لا تتم سعادة البيت مالم يشترك سكانه في أعمالهم فيشارك الاب الام في همومها والام الاب في أتعابه وكلاهما الاولاد في العابهم»

(١١) اقنع زوجتك بضرورة الاعتدال في المصروف وعمل حساب لاطفال سيجدون في المستقبل وان يكون مصروفها أقل بكثير بالنسبة لك

(١٢) احسن خلقك معها وليس حسن الخلق كف الاذى عنها بل احتمال والحلم على طيشها وغضبها

(١٣) لاتستأثرها كرقيق ولا تطلق سبيلها وتعطها من الحرية ما يجعلها مستبدة باعمالها سائدة بجميع رغائبها غير عارفة حقوق سلطتك فتتغلب عليك وتديرك على اهوائها وهنا يكون البلاء ويتداعى بناء الوئام بينكما والولاء

(١٤) قال فيلسوف لا ينبغي للرجل ان يمدح زوجته على مسمع من الاجانب ولا ان يشاجرها على مسمع منهم فان

مدحها ضعف ومنازعتها امام الناس ضرب من الجنون

وقال تعالى في حسن معاشرتهن وعاشروهن بالمعروف وفي تعظيم حقوقهن وأخذن منكم ميثاقا غليظا . وقال تعالى والصاحب بالجنب قيل هي المرأة . وآخر ما وصى به رسول صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهن مالا يطقن الله الله في النساء الحديث الشريف .

وجاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وخيركم خيركم لنسائه ؟

وجاء في بعض الاحاديث ما اكرم النساء الا كريم ولا اهانهن الا لئيم

وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني سيء الخلق اوذي زوجتي واهل بيتي بلساني فقال صلى الله عليه وسلم المؤذى لاهل بيته لا يقبل الله عز وجل عمله ولا حسنة من حسناته ولو صام لدهر واعتق الرقاب وكان أول من دخل النار

وكان صلى الله عليه وسلم من افكه الناس مع نسائه . قالت عائشة سمعت أصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشورا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترى لعبهم ؟ قالت قلت نعم . فارسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا . وقال صلى الله عليه وسلم رويدك انجشة رفقا بالقوارير . (يعني النساء) سماهن قوارير لرقتهن وقال لمن امره ببر والدته امك ثم أمك ثم امك ثلاثا ثم أباك رواه البخاري ومسلم

وكان التواضع بين الاهل عادة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم هو سنة نبوية

وكان امير المؤمنين المنصور متواضعا في اهله يمازح ويداعب ويتنزل الى درجه عقولهن واذا خرج الى سرير ملكه عبس قبل أن يتم خطوته ويبرز في جبينه عرق تنفر الجبابرة من النظر اليه .

وكان الحجاج على ما هو مشهور عنه دائم العبوس

مكفهر الوجه اذا أشار أردي وإذا نطق أودى فقال بعض الخاصة من جلسائه أ يكون الامير على هذه الحالة مع أهله؟ قال : كلا ولكن ربما قبلت رجل احداهن

وقال عمر رضي الله عنه مع صلابته في الدين ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ماعنده وجد رجلا.

وقال هيكو في جريدة حق النساء الفرنساوية في العدد الصادر بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٨٧٤

مامعناه «ان حب العائلة والوطن ممتزج بنفس المرأة الفرنساويه» وفي ٢٦ ابريل سنة ١٨٧٦ «لنخدم المرأة ولنكرمها ولنمجدها فالمرأة هي الانسان المنظور اليه من جهة السلام . المرأة هي الوطن والبيت وهي مركز الافكار الرائقة وكل مايختص بنا يكون اغلب الاحيان عدوا لنا انما المرأة هي الصديقه »

يحكى ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو اليه سوء خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع الرجل امرأة عمر رضي الله عنه وهي تغلظ عليه بالقول وهو ساكت لايرد عليها فانصرف الرجل وهو يقول اذا كان هذا حال امير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ؟ فلما خرج عمر رأي

الرجل موليا فناداه ما حاجتك؟ فقال له سبب مجيئه وما سمع. فقال عمر: « يا اخي اني اتحملها لحقوق لها علي: انها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي ويسكن قلبي بها عن الحرام » فقال الرجل « يا امير المؤمنين وانا اتحمل زوجتي »

ومن الحكم المأثوره عن ارسطو الفيلسوف اليوناني الشهير انه قال للاسكندر لما رأى عتوه وشدة الجبروت والغطرسة اللذين يعامل بهما الامم استبدادا في الحكم وتذرعا الى الاطلاق في السيادة فقال له ناصحا « لا ينفعك ان تؤسس عرشك على الرؤوس بل على القلوب » يعني ان خضوع الرعية له انما يكون بامتلاك قلوبها والتحبب اليها لا بقهرها واستذلالها فان الملوك لا يثبت سلطانهم بين محكوميهم بالقسوة والعنف بل بالاستيلاء على عواطفهم ومعاملتهم بالرعاية واللطف

فهذا القول عينه يصدق على المرأة بالنسبة الى الرجل لانه اذا كان اسكندر الكبير مع قوة سلطانه وبسطة يده وسعة اقتداره لا يستطيع أن يسود رعاياه دون ان يعدل فيها ويرفق بها وينتصف من نفسه لها فكيف يتأتى لك ايها الرجل ان تكون سعيداً في بيتك هنيئاً مع شريكتك مع

كونك تبني سيادتك على رأس المرأة لا على قلبها

ومن أقواله صلى الله عليه وسلم (جنة الرجل داره) (نعم صومعة الرجل بيته)

وجاء في المنهج للثعالبي من «احسن سياسة اهله كان اهلا لسياسة الناس»

وجملة القول ان الرجل والمرأة يؤلفان في عالم الوجود كيانا واحداً لا كيانين فاذا لم يكن هذا الكيان بجملته متناسب القوى متساويا في الاعتدال وصحة المزاج معنى ومادة مرتبطا كل عضو منه بوظيفة التعاون مع الآخر قلبا وقالباً متواطئاً مجموعه على سلامة اجزائه وحفظه وجلب المنافع له ودرء المضار عنه لا يمكن ان يدوم صحيح الحيوية غير معرض للآفات والعاهات ولا سالما من الاعتلال والاختلال او على الاقل يلبث دون غيره نموا وارتقاء في سلم الحياة وما دام كذلك فهو طبعا غير هنيء العيش ولا سعيد .

﴿ من رب البيت ﴾

خلق الله منذ البدء الانسان ذكراً وأنثى وخص كليهما بخصائص لا يتعداها وفرض عليه واجبات يؤديها لتمام سعادته

في الحياة ولاتمام نظام الكون لحكمة اقتضتها ارادته منذ الازل فمن خرج عن طبعه واختص بغير ما خصه الله وقصر في واجباته كان ملوما عنيداً وخالف مجرى النظام الطبيعي

وقد اجمعت كل الشرائع على ان الرجال لهم على النساء السيادة ولهن منهم حسن المعاملة والرفق والمحبة . لان الرجل لا يمكنه ان يعيش بدون امرأة ولا المرأة بدون رجل لاقتضاء العمران وجودهما مؤتلفين

وبقدر اهمية مركزهما الحيوي يجب ان يكون مقامهما الادبي في نظر الباحثين . فالزوج والزوجة او الرجل والمرأة كلاهما شطر وجود قائم بنفسه لا تتحقق نتائجه الا بانضمام الشطرين وائتلاف العنصرين . ثم برأنا الله من نفس واحدة لأنه سبحانه اراد ان يبين لنا عدم تعدد الاصل ولان الحكمة الأساسية لنظام الكون ترجع بشؤون الحياة الى الجبلة وهي غير متعددة وان ظهرت صورها متباينة متكاثرة وهكذا أنشأنا من نفس واحدة على هذا النظام الازدواجي الذي قامت عليه النشأة البشرية منذ فتح الله اغلاق هذا الوجود وهيأ به اسباب الحياة للعالمين

ولا يقتضي تساوي الازدواج في الثمرة وتوقف حياة المنصرين علي انضمامهما ان الشطر الاول وهو الرجل غير ممتاز بالرئاسة ومطلوب للادارة والسياسة بل هو كذلك الرئيس على المرأة والمهيمن عليها والمودع فيها روح الحياة الاجتماعية بفضل وظيفته العمومية التي بها يكون ربا لبيته وسيداً لاسرته وعلما لرعيته ونبراساً لعشيرته ولم نجد قولا مأثوراً او حكمة مبرورة تصادم هذا الرأي وتخرج به عما قررنا مما يأتي بيانه تفصيلا في سياق الكلام

وجاء في التوراة في سفر التكوين بالاصحاح الثالث عدد ١٦ ان الله تعالى قال للمرأة « تكثير اتعاب حبلك . بالوجع تلدين اولاداً . والي رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » .

وجاء في اعمال الرسل : ا كورنثوس ص١١ من ع ٢

ولكن اريد ان تعلموا ان راس كل رجل هو المسيح . واما راس المرأة فهو الرجل . وراس المسيح هو الله .

وجاء في القرآن (وللرجال عليهن درجة (١))

---

(١) عن السنة الثامنه من مجلة المنار القراء مقتبسا من درس المرحوم الشيخ محمد عبده

فهو يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجال اشياء . وذلك ان هذه الدرجة هي درجة الرئاسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم » فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لان المجتمعين لا بد ان تختلف أراؤهم ورغباتهم في بعض الامور ولا تقوم مصلحتهم الا اذا كان لهم رئيس يرجع الى رأيه في الخلاف لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام . والرجل أحق بالرئاسة لانه أقدر على التنفيذ بقوته وماله ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف فان نشزت عن طاعته كان له تأديبها بالوعظ والهجر والضرب غير المبرح ان تعين تأديبا . يجوز ذلك لرئيس البيت لاجل مصلحة العشيرة وحسن العشرة كما يجوز مثله لرئيس الامة (الخليفة او السلطان) لاجل مصلحة الجماعة . واما الاعتداء على النساء لاجل التحكم او التشفي او شفاء الغيظ فهو من الظلم الذي لا يجوز بحال وكل راع مسؤول عن رعيته

وختم الآية بقوله عز وجل « والله عزيز حكيم » قال الاستاذ الحكيم ان لذكر العزة والحكمة هنا وجهين أحدهما اعطاء المرأة من الحقوق على الرجل مثل ماله عليها بعد ان كانت مهضومة الحقوق عند العرب . وجميع الامم والثاني جعل الرجل رئيسا عليها . فكأن من لم يرض بهذه الاحكام الحكيمة يكون منازعا الله تعالى في عزة سلطانه ومنكر الحكمة في احكامه . فهي تتضمن الوعيد على المخالفة كما عهدنا منه سنة القرآن اه

ومن هذا التفسير يتضح لنا جليا ان لا دليل على صغر منزلة المرأة اذ ليس فيها ما يستفاد منه البتة فغاية ما استفدناه ان الدين امر كلا من المرأة والرجل بما يلائم طبيعته مما لا سبيل به الى القول بأن الخضوع يدل على صغر المنزلة والتعطف يدل على كبرها وقد استفدنا انه لا يقصد بها الا اسباب الاتفاق حتى تبدو الالفة والمحبة والاتحاد مما لا يتأتى للزوجين صفاء العيش وراحته الا به

ومن أقوال سقراط الحكيم في ذلك .

انه من حيث حب الزوجين لبعضهما يجب عليهما ان

يكون أحدهما استاذا ومرشدا للاخر خصوصاً المرأه لانها أصغر من رجلها وغريبة عن عائلته وأقل قوة واستعداداً فيجب في أول الامر ان تكون تلميذة للرجل الذي يقتضي ان يكون ذا ترب رقيق عظيم لكي يمكنه حينئذ ان يربيها تربية العالم العقلي والادبي المحيط به ويجب على المرأة ان تأتي زوجها وقلبها مفعم أملا مطيعة له حبا من ارادتها لا كرها مستعدة ان تقبل آراءه وتعتبره مهذباً لها ومعلما في جميع العلوم لانها ليست الا غرسا صغيراً محتاجا الى الحراثة والاعتناء به فتجد في زوجها دليلا ومعلما ومرشداً اميناً محامياً عنها ومعزيا لها في جميع المصائب والشدائد فتباً لرجل لا يعرف قيمة تلك الساعة التي تأتي بها المراة الى رجلها بكل جودة وقبول وارادة ولا يغتنم تلك الفرصة الجليلة في اكتساب حب امرأته لانه ان تهامل حينئذ وكان رديء الخصال كثير الجهل تخمد نار الحب ولا تعود تستعر وقد لا يحصل الاتحاد والاتفاق في باديء الامر لاختلاف اخلاق الزوجين فيقع حينئذ الشقاق بينهما ولكن ذلك يزول فيما بعد اذا كان الرجل لم يزل متمسكا بحقوقه المقدسة وهي الرئاسة على الزوجة

وما أحسن ماقاله احد الفلاسفة في هذا المعنى

لا تخف من شوك بك الزيجة لئلا يسبب لك قروحا عضالا لاشفاء لها . ولذلك يجب على الرجل ان لا يبالي بالاتعاب التي تتناوبه في اول الامر للحصول على مركزه الطبيعي لان الزيت والماء يضطربان عند سكب احدهما على الآخر ثم يفترق كل منهما عن الآخر متخذاً محلا على حدة

هكذا الرجل والمرأة فبعد اقترانهما وامتزاجهما وحصول الاضطراب لهما وزواله يهدأ الزوجان عما قليل ويأخذ كل منهما محله ومن ثم يتواطن ويثبت اتحاد الزيجه .

وكثير من الرجال عاشوا تعساء لانه لم يكن في وسعهم في مبدإ الامر ان يتحملوا المشقة الطفيفة ويستولوا على احساساتهم ساعة من الزمان . نعم انه من الصعب ان يحمل الرجل على زوجته التي يعزها ويحبها حبا خالصا . ولنا فيما تعمله الام نحو ابنها اعظم مثال فهي تحبه وتفضل حياته على حياتها وسروره على سرورها ولكن هذا لا يمنعها ان تجرعه جرعات الدواء المرفي ساعة مرضه رغما عن تأوهاته ودموعه السائلة على خديه مدراراً بيد ان كل دمعة تنحدر من عينه

كخنجر يطعن صدرها — ذلك لانها تعلم ان هذا الدواء التي تجرعه اياه رغما عن ارادته انما هو لصالحه ومنفعته . فهل بعد هذا يصعب على الزوج ان يقابل زوجته بما يجب عليه نحوها وهو يعلم ان ذلك وان آلمها واغضبها فهو دواء يصلح شأنها ان نجح ويجعلها كما يجب فلا يحتاج لأغضابها وايلامها بمر الكلام فاذا حافظ كل من الزوجين على حقوقهما الطبيعية لكانا اسعد الازواج ولو كان مسكنهما الكوخ الحقير وفراشهما الحصر وعيشتهما الشعير لان الحب يهون كل عسير .

وجاء في القرآن «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه»

فليحذر الرجل من ضياع مركزه فان ترك حقوقه مختاراً فهو اهل لما يصيبه اذ ذاك من الذل والاحتقار ويكون هو الجاني على نفسه لامحالة . ويكون اكثر الايام سكران بخمرة الهموم لانها متى علمت انها مسيطرة على فؤاده تستخدمه وتسيء التصرف في حقوقه التي له عليها فيختل التوازن بينهما وحسبه تعاسة ان يكون عبداً للمرأة ام الغواية فهذه صفة من يتهاون في مركزه الطبيعي بل ربما يكون اكثر من ذلك لان سعادة الزوج لا تتم الا بأن يشغل كل منهما محله الطبيعي بدون

اختلاس وظيفة الآخر .

وانا لا اقصد بقولي هذا الاستبداد من جانب الرجل ولا اقصد بذلك عدم احترامه لافكار زوجته ورغائبها ولا اعني انها لا يمكن الاعتماد عليها في امر ما وانها لا تصلح لما في امور زوجها . كلا . انما اقول العكس من ذلك فان العقل يأمر والشرائع تفيد ان لكل بيت رئيساً ذا سلطة غير متجزئة ومن العدل ان تنحصر تلك السلطة فيمن تقع عليه المسؤولية امام النظام الاجتماعي

ويحكى ان نساء العرب كن يعلمن بناتهن اختبار الازواج فكانت المرأة تقول لابنتها ابدي زوجك قبل الاقدام فانزعي زج رمحه فان سكت فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكفاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك قال البرنس ديلي . قلت مائة مرة ان هذا الجنس اللطيف هو ارقى من جنسنا ولكنه كالشجرة التي تحتاج الى التقليم والتعهد بالري واذا كانت الشجرة تحتاج في تقويمها الى عود تستند اليه فقوام المرأة الرجل .

قال الاستاذ موسير : مع اللحية كل القهوة

فاذا كان الله سبحانه وتعالى جعل تدبير الجمهور وتعليم الشرائع والقوانين والواسطة بينه وبين عباده بيد الرجل ولم يجعل للنساء في ذلك نصيباً فأي امرأة تقصد بعد ذلك ان تتعدى طورها واي رجل يريد ان يساعدها على ذلك يكونان قد اعترضا على حكمة الباري وخالفا الشرائع السماوية

فبناء على هذا ومع ملاحظة ناموس العقل يجب ان يكون الرجل صاحب السيطرة المطلقة عليها اذ لا سبيل لمعارضة احكام الطبيعة بالاقاويل ولكن ذلك كله لا يمنع من مطالبة الرجل بالاعتدال في تلك السيطرة وأعطاء المرأة حقوقها في حدودها المعتدلة .

﴿باب الوصايا﴾

اهتم علماء الاخلاق وفلاسفة الشعوب بتدوين الوصايا الجامة والنصائح الكثيرة للمرأة سعيا منهم في تقويم اخلاقها واصلاح شؤونها وارشادها الى وسائل الراحة الزوجية والهناء المشترك الذي يجب تبادل شعائره بينها وبين قرينها وبينهما وبين بنيهما وبناتهما وبين هؤلاء وبين عشيرتهم فيتم الاجتماع العائلي على نظام وفي يكفل سعادة الجميع ويكون

اساساً للاجتماع القومي لما قدمناه من ان العائلة صورة مصغرة للأمة واحكام حياة الاولى هي بعينها احكام حياة الثانية اذ لاريب في ان العائلة هي الاساس الاول للشعب وعليها قام وجوده وبها تم شقاؤه او سعوده لهذا كان اهتمام اساطين الحكمة وعلماء الاخلاق بوصايا المرأة عظيما جداً وكانت وصاياهم في اسفارهم وكتبهم لا تكاد تحصى ولا تحصر وقد ظهر لنا من استقراء الاهم فالمهم من تلك الوصايا انها لا تسعها صحائف معدودة ولا اسفار صغيرة كسفرنا هذا

ولذلك رأينا ان نستصفي اصفاها ونصطفي اولاها ونستخلص امسها للعائلة والزمها للزوجين واخصها ارتباطا بحياتهما

وليس الاهتمام بوصايا المرأة محدثا بل هو قديم جداً مرت عليه عشرات القرون والعلماء والانبياء والرسل والمبشرون والمنذرون في كل قرن بل وفي كل عقد من قرون يدونون وصايا تناسب حال المرأة في عصورهم ويرونها لائقة بحياتها في اوساطهم وعلى هذا تمشي اصول الصينيين واليابانيين والهنود وغيرهم من العناية بتهذيب العائلات وتشذيب اخلاق الذرية واصلاح شؤون الرعية وارشاد العقول الى الشعور

بالواجبات الحيوية في مثل قول الرسول الحكيم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) فقد وضح منهج الرشد لكل ذي عقل وسواد لانه يمثل الراعي بين اهله وبنيه وزوجته وذويه وفصيلته التي يعزي اليها لانها تأويه فاذا كان المرأ مثالا للسلطان في هيمنته والمرأة مثالا للرعية في شؤونها فقد عظم الاهتمام بالوصايا النافعة لكليهما حتى يعلم كل ماله وما عليه وما هو مسؤول عنه حال وسطه وعشيرته وكل ذي علاقة به وحيث اتضح للقراء ما ترمي اليه فهم لا بد عاذرونا في قبول القليل من تلك الوصايا التي عنينا بتلخيصها ونهضنا لالتقاط دررها لتحلية جيد المائلة الشرقية بعقودها الثمينة وجواهرها العزيزة اليتيمة فعلى المرأة ان تنعم نظرها وتمعن فكرها فيما يلي من الوصايا المسطورة بمداد احترامها وقلم اكرامها وما نريد الا الخير لها ولقرينها وللمائلة ما استطعنا وما التوفيق الا بالله

﴿ الوصية الاولى (١) ﴾

واقدم الكتب الصينية المنوطه بالنساء كتاب الفته امرأة في القرن الاول للمسيح وسمته (نصائح للنساء) ومن

---

(١) نقلا عن مجلة المقتطف الغراء

نصائحها لهن قولها

كن خاضعات محتشمات وقدمن الغير على انفسكن ولا تفتخرن بما تصبن من النجاح ولا تعتذرن عن قصوركن . واحتملن الاهانة واغضين عن الذم والشتم وكن دائما كمن في خوف ورعدة والواجب على الزوجة ان تكون صدى زوجها واتبع له من ظله

ولقوى المرأة اربعة مسالك تتصرف فيها وهي :السلوك والكلام والمنظر والواجبات

فالسلوك الحسن لا يقضي عقلا فائقا

والكلام الحسن لا يستلزم لسانا زلقا وبداهة شديدة

والمنظر الحسن لا يستلزم جمالا رائقا

وحسن القيام بالواجبات لا يستوجب خفة في اليد

بل ان السلوك الحسن يقوم بالبساطه والطهر والحياة واللياقة

والكلام الحسن باختيار الالفاظ الرقيقة واجتناب المبتذأة والحديث الملائم الموجز

والجمال الصحيح بنظافة اللباس ونظافة البدن

والواجبات الصحيحه بالانكباب على الغزل والحياكة بلا ضحك

ولا لعب والاهتمام بتدبير ما يلزم من الطعام والشراب

هذه هي المسالك التي يجب ان تتصرف فيها قوي المرأة ولا تهملها ولا تستصعبها اذا كانت ذات عزم وهمة

﴿ الوصية الثانيه(١) ﴾

يوم تزف العروس الى زوجها في بلاد اليابان توصيها امها الوصايا التالية

(١) لم تعودي ابنتي من الآن فصاعداً فيجب عليك ان تطيعي حماك وحماتك كما كنت تطيعين أباك وامك

(٢) زوجك سيدك الوحيد فاتضعي امامه ولاطفيه وافضل مناقب المرأة طاعتها التامة لزوجها

(٣) يجب ان تظهري الحب لحماتك دائماً

(٤) اياك والغيرة فانها تميت محبة زوجك لك

(٥) لا تغتاظي من زوجك ولو اخطأ بل اصبري ثم كلميه بلطف حينما يبرد خلقه

(٦) لا تكثري الكلام ولا تغتابي جيرانك ولا تكذبي

(٧) انهضي من النوم مبكرة ولا تنامي بعد الظهر . ولا

---

(١) نقلا عن مجلة المقتطف الغراء

تكثري من شرب الخمر ولا تدخلي الاجتماعات العمومية قبلما يصير عمرك خمسين سنة

(٨) لا تستشيري العرافات

(٩) احسني تدبير بيتك وكوني مقتصدة

(١٠) لا تكثري من الاجتماع مع صغار السن ولو تزوجت صغيرة السن

(١١) لا تلبسي ثيابا زاهية الالوان ولتكن ثيابك ثياب الحشمة والادب ولكن يجب ان تكون نظيفة دائما

(١٢) لا تفتخري بغنى ابيك ولا بعقامه واذا كان غنيا فلا تشيري الى غناه امام اقارب زوجك

وهذه الوصاية قديمة في بلاد اليابان وكانت مرعية فيها دائما

﴿ الوصية الثالثة (١) ﴾

لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كندة جمال ابنة عوف الشيباني وكمالها وقوة عقلها دعا امرأة من كندة يقال لها عصام ذات عقل ولسان وادب وبيان وقال لها اذهبي حتى تعلمي لي

---

(١) عن المرشد الامين للبنات والبنين تأليف المرحوم رفاعه بك رافع الطهطاوي المتوفي بمصر سنة ١٢٩٠ هـ

علم ابنـة عوف فمضت حتى انتهت الى امها وهي امامة ابنـة الحارث . فاعلمتها ما قـدمت له فارسلت امامـة الى ابنتها وقالت أي بنيه هـذه خالتك أتتك لتنظر اليك فلا تستتري عنها شيئاً ان ارادت النظر من وجه أو خلق وناطقيها ان استنطقتك فدخلت اليها فنظرت الى مالم ترقط مثله فخرجت من عندها وهي تقول ترك الخداع من كشف القناع فارسلتها مثلا . ثم انطلقت الى الحارث فلما رآها مقبلة قال لها : ماوراءك ياعصام . قالت صرح المخض عن الزبد رأيت جبهة كالمرآة المصقولة يزينها شعر حالك كاذناب الخيل ان ارسلته خلته السلاسل وان مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل . وحاجبين كأنما خطا بقلم أو سوّدا بحمم تقوسا على مثل عين ظبية عبهرة بينهما انف كحد السيف الصنيع حفت به وجنتان كالارجوان في بياض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم فيه ثنايا غرذات أشر يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان بعقل وافر وجواب حاضر يلتقي فيه شفتان حمراوان تحلبان ريقا كالشهد في رقبة بيضاء كالفضة ركبت في صدر كصدر تمثال دمية وعضدان مدمجان يتصل بهما ذراعان ليس فيهما عظم

يحس ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين
عصبهما تعقد ان شئت منهما الانامل نتأ في ذلك الصدر
ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها تحت ذلك بطن طوي طي
القباطي المدمجة كسر عكنها كالقراطيس المدرجة تحيط بتلك
العكن سرة كالمدهن المجلو خلف ذلك ظهر فيه كالجدول
ينتهي الى خصر لولا رحمة الله لانبتر لها كفل يقعدها اذا
نهضت وينهضها اذا قعدت كأنه دعص الرمل لبده سقوط
الطل يحمله فخذان لفا كانما قلبا على نضدجمان تحتهما ساقان
خدلتان يحمل ذلك قدمان كحذو اللسان فتبارك الله مع صغرهما
كيف تطيقان حمل ما فوقهما فارسل الملك الى ابيها فخطبها فزوجها
اياه وبعث بصداقها فجهزت

فلما أرادوا أن يحملوها الى زوجها قالت لها أمها أي بنية
ان الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة حسب
لتركت ذلك معك ولكنها تذكرة للعاقل ومنبه للغافل ٠ أي بنية
لو استغنت ابنة عن زوج لغناء ابويها لكنت اغني الناس عنه
ولكنا خلقنا للرجال كما خلق الرجال لنا ٠ اي بنية انك فارقت
الوطن الذى منه خرجت والعش الذى منه درجت الى وكر

لم تعرفيه وقرين لم تألفيه أصبح بملكه اياك ملكا عليك فكوني له أمة يكن لك عبداً واحفظي له خلال عشراً

اما الاولى والثانية فالصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة . فان في القناعة راحة القلب وفي المعاشرة بحسن السمع والطاعة رضى الرب

واما الثالثة والرابعة فالتعهد لموقع عينه والتفقد لموقع انفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم انفه منك إلا اطيب الريح واعلمي ان الكحل احسن الحسن الموجود وان الماء أطيب الطيب المفقود

وأما الخامسة والسادسة فالتعهد لوقت طعامه والهدي عند منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة

واما السابعة والثامنة فالاحتفاظ ببيته وماله والرعاية لحشمه وعياله فان اصل المال من حسن التقدير والرعاية على الجسم والعيال من حسن التدبير

واما التاسعة والعاشرة فلا تفشين له سرا ولا تعصين له امرا فانك ان فشيت سره لم تأمني غدره وان عصيت امره اوغرت صدره واتق مع ذلك الفرح ان كان ترحا والاكتئاب

ان كان فرحا فان الخصلة الاولى من التقصير والثانية من التكدير واشد ما تكونين له اعظاما اشد ما يكون لك اكراما واكثر ما تكونين له موافقة احسن ما يكون لك مرافقة واعلمي انك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري هواه على هواك ورضاه على رضاك فيما احببت او كرهت ثم ودعتها بعد ان نبهتها وعرفتها

﴿ الوصية الرابعة ١ ﴾

(١) اذكري انك تزوجت بشراً عرضة للخطأ لا الهاً معصوماً
(٢) اجعلي لزوجك الكلمة الاولى في البيت
(٣) اجعليه شريكا في كل شؤونك البيتية
(٤) كوني عاقلة . وان تكن النساء العاقلات قليلات فكوني احداهن
(٥) طالعي ما يمكنك مطالعته من المجلات والجرائد التي يطالعها هو لتكون أفكاركما متفقة في مواضيعها وهذه هي الشركة الحقيقيه
(٦) كوني رفيقته اذا كان عاقلا والا فاجعليه رفيقاً لك

(١) نقلا عن مجلة السيدات والبنات الغراء

واعتبريه في كل حال ومهما كان لكي يمكن أن يتبرك

(٧) انكري ذاتك ارضاء له فلا شك أنه يفعل ذلك لك اذ لا حب حقيقي بدون تعب وتضحية شيء من الذات

(٨) اذا لم يكن لزوجك تلب فلا شك بأن له معدة فاعدي له الذ واحسن غذاء واهتمي بذلك بنفسك

(٩) قللي ما امكنك من طلب المال خصوصا اذا كان زوجك في عسر

(١٠) اكرمي اقرباء زوجك خصوصاً امه فهي لم تزل امه وان صارت حماتك

الوصية الخامسة (١)

(احدى وعشرون نصيحة للمتزوجين)

ان اكبر واسطة للحصول على السعادة العائلية في هذا العالم هي ان يسلك الزوج والزوجة بحسب النصائح الآتية وهي

(١) ان يجتهدا في تجنب حب الذات تجنبا تاماً

(٢) ان لا يطعن احدهما الآخر على انفراد أو امام الغير

(٣) ان لا يغضبا كلاهما في وقت واحد

---

(١) نقلا عن مجلة الجنان المرحوم سليم افندي البستاني

(٤) ان لا يكلم احدهما الآخر بصوت عال

(٥) ان يخضع كل منهما لارادة الآخر الرجل بالحب والمرأة بالطاعة

(٦) ان يكون نكران النفس دأبهما في كل الاوقات

(٧) ان لا يلوم احدهما الآخر على زلة مالم يتأكد وجودها فيه ويجب حينئذ ان يكلمه بمحبة

(٨) ان لا يلوم أحدهما الآخر على خطاء ماض

(٩) ان لا يحوج أحدهما الآخر الى تكرار الطلب في حاجة

(١٠) أن يتمسك احداهما بالآخر ولو كلفه خسارة كل من سواه

(١١) أن لا يبكت أحدهما الآخر أمام الغير .

(١٢) ان لا يفارق أحدهما الآخر ولا يوما واحداً من دون أن يودعه بكلمة محبة لكي يتفكر بها مدة الغياب

(١٣) ان لا يلتقيا من دون ترحب محبة

(١٤) ان لا يدعا زلة ارتكباها تمضي من دون طلب السماح عنها

(١٥) ان لا يدعا الشمس تغرب على غضب أو زلة

(١٦) ان لا ينسيا ساعات المحبة الاولى السعيدة

(١٧) ان لا يتأوها على ما فات بل يرتضيا بما يوجد

(١٨) ان لا ينسيا ان الزواج هو من الله وان بركته وحدها قادرة على ان تجمله كما يجب ان يكون دائماً

(١٩) أن لا يكتفيا الا بتأكيدهما انهما سالكان في الطريق المودي الى أبدية صالحة

(٢٠) أن يجعلا الصدق دأبهما في معاملة احداهما الآخر

(٢١) ان لا يقول الزوج للزوجة كانت المرحومة كذا وكذا والزوجة للزوج كان المرحوم كذا وكذا اذا كانت ذيجتهما بعد الترمل

فهذه النصائح لا يجوز للزوج ان يزدري بها لانها موجهة الى الزوجة ولا للزوجه ان تستهين بها لانها موجه الى الزوج واتباعها هو من اكبر اسباب الراحة في العائلة وهي تفرض كون الزواج هو بين قوم يراعون الحقوق العمومية التى لكل من الزوجين على الآخر والا فلا فائدة لها بالنظر اليهم الا فيما ندر

(الوصية السادسه ١)

نري الفتاة الحسناء التي يعرض عليها امر الزواج اذا فاتحها احد في شأن زفافها قالت له انها تخاف من اهل زوجها وانها ستكون منكدة الحياة بين حماتها وحميها وانها لاتستطيع الراحة في البيت الجديد قياساً على ما تسمعه من حوادث الحماه والكنه وما يجري بينهما من نفرة المعاشرة وسوء الظن : فقل لتلك الفتاة مهلا

ان زوجك قد مهد لك في بيته سبل المحبة والقبول واقنع اهله باعطائك لقبه وفؤاده واعد لك منزلك اللائق بك في منزله الابوى فاقبلى ذلك الاسم مسرورة شاكرة واجهدي في ان تحافظي على شرفه واجلاله وما ننكر عليك انك لا بد ان تستنكرى من اهلك الجدد وترى فيهم بعض الجفوة والخشونة لعلة الالفة بينهم وبينك ولانهم يحاولون ان يستطلعوا دخائل عيوبك من وراء جمالك ولطف حديثك ولا بدع في ذلك فان فيك عيوبا لا تقدرى على انكارها وسبحان من تنزه عن العيوب . فاذا شئت ان تسمعى نصيحة

(١) نقلا عن مجلة النساء الغراء

محب عاقل فادخلي ذلك المنزل الجديد صغيرة متواضعة لكي تكبرى في عيون اهله علي التوالي بدلا من ان تدخلي متكبرة متشامخة فتصغري في نفوس الجميع ولا تظني ان حبك فرض واجب في قلوب اهل البيت جميعاً لانك جميلة في محياك ومحبوبة من فؤاد قرينك بل اعلمي ان زوجك قد اعطاك جانبا كبيرا من حبه الذي كان مصروفا كله لعائلته فاجهدي في ان تنيلي اهله ما اخسرتهم اياه من ذلك الحب وما حملتهم اثقاله من المزاحمة وغيرة الوداد واظهري لهم انك أهل لان تقاسميهم ذلك الحب البنوي الشديد . واعلمي ان ذلك لا يكون بالغش والخداع واظهار التملق والتودد بل بأن تكوني معهم كما كنت مع أهلك شفيقة مطيعة حافظة واجب الحرمة والاعتبار

وما اكتم عن القراء انك حانقة من هذه الاقوال والنصائح وتقولين لقد كان الاحترام والخوف والطاعة أمراً قديماً أما الآن فقد تغير كل ذلك ونحن فتيات اليوم غير فتيات الامس وكل الطاعنين في السن جهال لدينا لاننا تعلمنا أكثر منهم . نعم لقد تعلمت يا سيدتي ولكن أين أنت

من علم الخبرة ومعرفة التجارب واختبار الايام ألا تعلمين ان المزارع المختبر يقدر أن يفيد العالم الشاب بنصائحه ونتائج مراقبته واختباره .

ذلك فضلا عن انك دخلت في حياة جديدة وهي حياة الزيجة وعيشة العائلة التي هي عيشة صارمة وكانها حلوة في حين واحد . فتعلمي من الام التى ربت زوجك كيف تقدرين على اسعاده وارضائه وابقائه لديك في المنزل على ما تريدين . ولا تغتري بما يظهره لك من الحب الشديد فانه حب طياشة واندفاع كالحب في جميع الرجال . ولا تقتنعي بسطوة تفرضك عليه لقضاء كل ما يخطر لك من الافكار والبدوات . ولا تجعلي نفسك مالكة آمرة في ذلك المنزل الذى لست فية الا ثانيه بعد صاحبته الكبرى . ولا يسوءنك انك ثانية هناك فانها مدة قصيرة ثم تنتهي وتصيرين بعدها ربة منزل اولى كما كانت حماتك من قبل فاغتنمي فرصة الحياة العائلية وكوني فيها سعيدة بضع سنين قبل ان تصيرى اما كبيرة وتصير لك عائلة من ابنائك بعد ان كانت من ابناء سواك وتعلمي ما استطعت تعلمه في هذه المدة القصيرة فانها تكون لك فائدة وتبصرة فى

مستقبل الايام .

ولقد خلقك الله صبيه خفيفة الروح طيبة القلب محبة للعب واللهو عاشقة للضحك وحلو الحديث فلماذا لا تستعملين كل ذلك في بيت زوجك وتكونين زينة المنزل وسلوته بدلا من ان تكوني سبب أحزانه واكداره . انت تعلمين ان ذلك البيت ليس لك بل هو بيت قرينك وقد جعل لك فيه مكانا فلماذا تريدين ان تخربيه كله وتأخذي فيه مكان سواك . بل لماذا لا تتوصلين الي ما تريدين أجراه بالرقة واللطافة واللين بدلا من ان تستعملي القسوة والجفاء والعناد . وفوق ذلك فلماذا لا تنظرين الى خصال اهلك الجدد وهم قد يكونون مثل اهلك فى طيب الخصال وحسن الضمائر والنيات . ولماذا لا تشكرينهم على انهم ربوا لك زوجك حتى وصل كاملا ولم تشعري بشيء من اتعاب تربيته وتعليمه . وما ننكر ان اهل قرينك لا يكونون مثل أهلك في تمليقك والتغاضي عن هفواتك ولكنهم يدلونك على عيوبك ويكون منهم مدرسة صادقة جديدة وهى خير من مدرسة التمليق والهزل والتسامح والاغضاء . فلا تحسبي ان دخولك الى منزل زوجك دخول

منتصر فاتح يريد ان يستبد بما حازه بسيف النصر والفتوح بل اعلمي انك دخلت اليه دخول من يريد ان ينتصر ويحوز الفتح والفوز وانه لا سلاح له الى ذلك سوي الطاعه والرقة واللطافة واللين . نعم ان ذلك صعب على طباعك ونزق شبابك وصباك وانك خرجت من منزل أهلك لتعيش عيشة حريه واستقلال ولكن من في الدنيا يدرك ما يريد واي انسان ينال رغباته في هذه الحياة كما يشاء اذن فاصبري لتنالي فان الصبر خير دليل الي النجاح . وادخلي البيت لافتتاح قلوب ابنائه فان لطفك هو المفتاح .

الوصية السابعه ١

من ام لبنتها

اول حاجة تلزم الست انها تعرف ترتيب مخزنها تحط السمن في حتة نظيفة متغطي وتمسح الماعون من برا كل يوم احسن مايجي عليه الوسخ وينضح على السمن وترمي عليه فوطه فوق الغطا على شان مايجيش عليه دبان ولا حاجه من اللي تبقى في المخازن وتحط العسل والسكر والمربات والحلويات

---

١ نقلا عن مجلة (الاستاذ) للمرحوم السيد عبد الله نديم

في دولاب نظيف وتفرش للحاجه تحتها ورق ولا بافته نظيفه لان زينة الواحدة نظافة حاجتها وتغطي عليها طيب وتقفل الدولاب أحسن ما يدخل فيه دبان والا برص والا فار والا صرصار والا حاجة من اللي تمرفيها والتجي تفتحي السمن والا العسل تشيلي الغطا وتفتحي بالكي يكون عليه تراب وبعد ما تشيلي غطاه تبص فيه قبله بالكي يكون وقع فيه حاجه قبل ما تغطيه والا حيوان دخل فيه تحت الغطا والا عفار نزل عليه لاجل ماحدش يعيب عليها في حاجة وكل من دخل عليها من النسوان تبقى تتبهدل في نظافتها ونظافة حاجتها واوعي تفوتي ماعون مكشوف ابدا حتى اذا كنت رايحه تأخذي من الماعون مرتين والا ثلاثة وانت قاعدة تأخذي منه وتغطيه وترجعي تكشفيه وتأخذي منه وتغطيه أحسن ما يقع فيه هافي والا حاجة طائرة في الهواء وانت كاشفاه

وتحطي اللي زي الرز والعدس والقمح والحبوب في محل موش نادي أحسن يبقل ويتلف منك والا تعملي للحبوب صناديق تحطيها فيها لان الخشب ناشف ولا يخضرش الحاجه اللي فيه وان كان عندك بصله والا تومه

تحطيها في محل لوحدها احسن ويحتها تخصر لك الحاجة الحلوه
وتفش المحل الى هيا فيه وتفضلى ترتبي في حاجة مماشك لما
تخليها على سنجه تسمين وروحى للمطبخ ترمى اطباقك والصيني
بتاعك في دلاب والا صندوق والاعلى رف لكن اذا كان على
رف يكون له حرف عال وتحط حواليه حاجة تحفظه باكي
قطة تنط على الرف والا ايلة من دول الدنيا تزلزل يبقى
محفوظ وتغطيه راخر بفوطه احسن الهوا فيه امور بطاله تلزق
على الاوانى ولما تجى تأخذى صحن والا سلطانيه ماتقوليش دى
نضيفة تقوى تمرفقيها والا تحطى فيها الحاجة لا برضه طوقيها
طيب وخليها نضيفة بلكي يكون فيها غبار ولا وساخة ولا
يكون مشى عليها حيوان صغير ورجله وسخة ولا لحسها بلسانه
ويكون ريقه بطال

ولما يفرغ الصحن من دول ماتناميش الا لما تغسليه اوعى
تخلي الطبيخ فى الصحون للصبح ولا تبيتى حلة مكشوفة ولا
مغرفة ولا معلقة من غير غسيل ومين عارف الحيوان اللى رايح
يأكل فيها بالليل جنسه ايه لان الامراض كلها حيوانات

واوعى تخلى نحاسك من غير بياض كل شهر والا بالكتير

شهرين احسن النحاس يابنتي فيه جنزاره تموت والداهيه اذا كان فيه حاجة حامضة والارز فانه يخاف الجنزاره فيه

وعليك بغسل الحمام وبيوت الراحة وكغسل البيت طيب واوعى جوزك يشوف لك حاجة وسخة احسن مايزعلش الراجل الا الوساخة ياما يابنتي بنات حلوين وجمالهم حاجة كويسة ولا يعرفوش يعملوا حاجة يطلقوهم الرجاله ولا يسألوش في جمالهم وياما يابنتي بنات وحشين ومرتبين وتلاقي راجل الواحده منهم رايح يأكلها اكل من كتر محبته فيها حتي اذا كان عندكم خدامين يكنسوا وينفضوا محل الضيوف برضك كل كام يوم تنبهي عليهم يطلعوا برا وتنزلي تشوفي المندرة ازيها ودولاب الكتب ومحل النوم وبيت الراحة واذا لقيت حاجه ماتعجبكيش غيريها ونضفي المحل أحسن عيب البيت في وش الست ما هوش في وش الراجل والخدام ان ما كنش الانسان يفتش وراه ما بيعمل الحاجه الا بالعتال وكله الا الهدوم اذا كان جوزك غني قوي غيريلو الهدوم كل يوم لان الهدوم النضيفه تخلي صحة الراجل طيبه وتخلي الجسم زي الحاجه المرعرعه وتملي حميه واغسلي لو جتته ونظفيه طيب وغيرلو الهدوم عند النوم وافتحي عينك في

خدمته وخليك زى الحصوه وتملي نفضي فرشك وسجاجيدك وبساطك وامسحى الحيطان بسعفه لماتخلي بيتك يشف ويرف .

وان كان عندك خدامه والا جاريه ما ترتكنيش عليها وتملي شوفي هيا بتعمل ايه .

وكله الا فرش النوم تملي تنفضيه وتغسلي الملايات كل جمعه في الشتاء وكل يومين والثالث في الصيف على شان العرق وقبل ما ينام جوزك تفتشي المراتب وحوالين السرير وتنفضى اللحاف ولا تخلى الخدامه تعمل كدا بالكي يكون حاجه طلعت السرير زى قطه ولا ديب والا حاجه بطاله ولا تحطيش روايح فى اودة النوم زى ورد ولا يسمين ولا فل أحسن دا بطال على النائم واذا كان فيه حاجه زى دي في النهار طلعيها برا بالليل وغيرى الهوا واذ كنت ترشي ريحه في الفرش زى لوانده وملكه يكون بالنهار وافتح الباب يغير الهواء أحسن تفضل الريحه قويه وتخسر صدركم واتم نايمين وتفتحي عينك لحالك ما تخليش ولا باب الا ما تأخذي مفتاحه معاك ولا تناميش قبل ما تشوفي ابواب بيتك وترتبي حاجتك واذا كان عندك خدامين تلاحظيهم وبعد ما يتعش جوزك وضيوفه

وخدامكم تقومي على الحمام وتغسلى نفسك وتلبسى بدله لطيفه وتقعدي زي العروسه تنتظري جوزك لما يجي لك

(الوصية الثامنة (١))

افضل مايوافق ان تكتبه ام مهذبة الى ابنتها على اثر زواجها ،
لجناب نجيب افندي كاتبه رئيس قلم افرنكي بالسكه الحديد السودانيه في حلفا

ابنتي العزيزه

يحق لى كام ويجدربى كمرأة متزوجة عبرت معظم الحياة ان اهديك كلمات نصح تسترشدينها في حياتك المقبله . استهل حديثى معك بالافصاح عن فرحي لفرحك . هذه يا عزيزتى اسرع اللحظات التى تمر من حياتك لانها اهنا اوقاتك واعني بها اللحظات التي نخطو فيها نحن بنات حواء من حريه العزوبة الى رق الزوجيه . واكثرنا نحوم كالفراش حول اوهام الصبوه المبهره وثم نطرح قلوبنا بمل الثقة عند قدمى

(١) نقلا عن مجلة سركيس الغراء . وقد نالت هذه الوصية الجائزة السابعة لهذه المجلة وقدرها ١٠٠ فرنك من الخواجه جورجي قرداحي

— رجل — فاما ان تتحقق امالنا او ان تحبط لا اريد ان اروعك فان خطواتك هذه طبيعيه كخطوات كل انثى - هكذا كانت خطوتي —ولكنني لا اريد ايضا ان اخدعك فاعلمي ان حلاوة الزوجية تنتهي بنهاية شهر العسل الذى لم تزل فيه الحقائق والاوهام ملتبسة في تخيلات الصبوه فاذا تمنيت مزيدا من الحلاوه في حياه الزوجية فعليك ان تبتدعيها وقبل ان اجلو لك الحقيقة جيدا دعيني افكرك بان ضعف حواء ملازم لنا كلنا فاذكرى اذا انك بنقل قدمك الي دار الزوجية لم تخطى الى عدن بل منها لانه ستحف بك شدائد متنوعة كالحمل والولاده وتربية الاطفال والهم بالمستقبل ومكابدات الزمان وسوء التفاهم بينك وبين رجلك الى غير ذلك مما تنوئين بعبئه اذا كان زوجك يعتقد بحرفية . دعاء الله على حواء ويصر على تحقيق ماكان يؤمله فيك يوم كنت انسة . لا قصد ان أريك وجه الزوجية العبوس كلا بل اود ان اقودك الي مقر الحقيقة الراهنه اكاملك عن اختبار فاخدعك اذ صورت لك حياة الزوجية ابتسامة دائمه اوبارقة بهجة ابدية على انى اتمناها لك من صميم فؤادي فاعلمي اذا ان الرجل كالمرأة (مسألة ممكنة الحل) اي سهل المراس على

ان بعض الرجال كبعض النساء الغاز محيره واسرار عميقه فمن هؤلاء لا أقول الا ان بختهم سيء وتكييف القدر المحتوم اسهل من تقريبهم الى التعقل والاستبصار . ولكن هنالك رجالا تطابق طباعهم طباعنا فيفسحون مجالا لاوهامنا وترهاتنا ويتغاضون عن هفواتنا ولكنهم قليلون بحيث اني لا اتوقع ان يكون زوجك منهم . فدعيني افرض انه زوج كسائر الازواج ستجدين فيه مع الزمان عدة عيوب منتقدة وفضائل ممدوحة وسترين انه من الواجب عليك ان تدرسنيه بتدقيق لكي تفهميه جيداً . وبما اني قد مهدت السبيل القويم لنصحى لك فدعيني ابثه الان : — ليس بكلمتك وكلمة رجلك اللتين لفظتماها بوقارامام الله والناس صرتما زوجين ولا لما برحت صدر امك لاجئة الى صدر زوجك ابتدات تدرسين الرجل الذى هو قطب آمالك .

ليس لك الا ظل المعرفة عنه ولم يرتسم في ذهنك من حقيقته الداخليه الا خيالها . فاخشى ان العالم والهوى اتحدا على اضلالك في حقيقته . تراءت لك عيوبه وفضائله كانهامن خلال عدسيه تارة مكبره وطوراً مصغرة . فمليك — وعليك

وحدك — ان تسبري اعماق سجاياه واهليته . فاشرعي منذ الآن ان تدرسي أخلاقه وعاداته وعبوسته وابتسامته ونوب مزاحه وتغاضيه الخ . وان تستطلعي اسرار ذلك كله وبواعثه فاذا اعيأت بتحقيق هذه الجزئيات وقدرت قيمتها استعلمت حقيقته تماماً وحينئذ لا تلبثين ان تعودي الي درس نفسك فتسألين : « لماذا احبني ؟ واي محمدة لا حظ في ؟ : وهـذا التساؤل يوقظ فيك ذكرى ايام تعارفكما الاولى ، وثم يمر في مخيلتك مشهد بعد مشهد من مشاهد حبكما وكل مشهد يترك أثرا واضحاً في ذاكرتك لم تظني يوما ان يكون ساطعا بهذا المقدار . فتتذكرين انه لاجـل كلمة قبلك ولا جل عمل ضمك ولاجل عبارة ابهجك وعند أمر من الامور ضحك ملء فيه وعندحادث تنهد وذرف دمعاً . ولعل افعاله في بعض الاحوال كانت انذاراً لك لكونهـا ومضات حدة طبعه وشرارات نزقه . ولكنك لم تعبئي بها حينئذ لانك كنت محلقة في جو المحبة القائم ومرفرفة في عالم الاحلام ولاهية بأوهامك عن شواذ أخلاقه التى كانت تصادف ترحابا في صدرك ولعلك تسألين ما الفائدة من تذكار ذلك كله ومن

معرفته - فأقول لك ان معرفته تقدرك على تقوية فضائل زوجك وملاشاة شروره .

- الطريقة المثلى لذلك معروفة ولكن الجري عليها صعب فقد يقصر الرجل والمرأة عن اصلاح ذات البين بينهما فتكون حياتهما الزوجية كحياة الكلب والهرة . وبين تجاهد المرأة في تحصيل حقوقها بحماسة اذ تتطرف فتتجاوز دائرة تأثيرها على الرجل . فدعيني أبين لك أهمية دراسة نفسك أولا وتجربة قوتك والتمرن على استعمال سلاحك . فتيقني أنك لاتقدرين أن تحاربي الرجل بسلاحه لانه ثقيل في يدك النضيرة وتتعبين جدا من حمله . فاذا كان زوجك مولعاً بالتردد الى الأندية العمومية والحانات وشئت أن تستبقيه عندك فلا تهدديه بالاختلاف اليها بل اجعلي بيتك الصغير ناديا رحيبا له فيه كل ما يسره ويسليه واستنبطي كل يوم مسرة جديدة تجتذبينه بها . وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية هي الجمال والاستسلام والحلم واللطف والسكينة والاتكال والخجل والحنان والدموع . ولعلك تظنينها أسلحة ضعيفة ولكني أؤكد لك أنها اذا شحذتها المحبة والامانة كانت ماضية

جدا وكافية لأن تدمث الطباع الخشنة وتطوع أكثر الرجال كبرياء حتى يجثو أمامك . لا أقدر أن أتبسط بهذه المواضيع جيداً وأريك كيف تحيين فضائل رجلك وتقتلين رذائله وأسهل عليّ ان اسأ كنك لكي أعلمك ذلك كله من أن أشرحه لك عليّ أن أهديك بعض ملاحظات وأترك لك تدبير الامور حسب مقتضى الحال .

(١) ـ اجتهدي ان تنمي فيك تلك السجايا التي حببت زوجك بك وجعلتك عزيزة في عينيه يوم كنت آنسة . اجتهدي حينئذ ان تكوني جميلة ومرتبة وبشوشة ومبتهجة ومؤانسة وغيورة ولطيفة ومسامحة ومحبة فكوني الآن كذلك وأكثر . لا تظني انك وقد صرت زوجة يجوز لك ان تغيري مظاهرك السابقة وان تطمئني في مجالسك . اذكري ان وظائف الزوجة لا تبتدي ولا تنتهي في مخدعها .

(٢) ـ لا تدعي سبيلا لثالث ان يدعي انه يفهم زوجك اكثر منك حتى ولا لي انا امك ـ لا تعيري اذنا صاغية للذين ينتقدون زوجك بدعوى النصح والغيرة عليه فانهم اعدى اعدائك .

(٣) ـــ اذا عرفت بخطأ لزوجك او شعرت بقصور منه

فاياك ان تؤنبيه او تعظيه لئلا تعتدي على حق ابويه او اخيه الاكبر . فاذكري ان سلاحك فعال جداً وان كان خفيفاواما سلاح الرجل في يدك فجارح ومؤذ .

(٤) — برهني لزوجك بالفعل انك ذات السيطرة التامة على الخدم وذات المراقبة الفعلية على المطبخ . السيطرة التي لا تبث في العاقل روح الشمخة ولا تحمله على العبوسة — السيطرة التي لا تضطر المسيطر عليه ان يحني رأسه عن رهبة او لوجوب بل عن محبة واحترام . فمعاملتك لخدمك هي عنوان حقيقتك في عيون العالم نبيلة كنت او سليطة

(٥) — لا تعظمي المصائب في بيتك ولا تستسلمي للحزن والاسف بعد وقوع النازلة . حسب زوجك جهاده خارج المنزل فعليك ان تخلقي التعزية والسرور له داخل البيت . فبشي له على اي حال واستقبليه بكل ابتسامة تنبيء عن متسع الامل وتحيي الرجاء في النفس وتوقظ المحبة في اعماق القلب

(٦) — تحاشي ان تستطلعي اسرار ماضي زوجك . ماضيه انقضى وهو قد تناساه . ومعرفتك اياه سم لسعادتك لا تنسي ان زوجك انسان لا ملاك .

(٧) — ارفقي بجيب زوجك فلا تستنفدي نقوده في اقتناء الحلي والحلل . لك ان تكتفي بالضروري اللازم من ذلك وما زاد منه كان بذخاً غير جائز . الكساء البسيط المهندم يدل على سلامة ذوق السيدة وعلى نبلها .

(٨) — احترمي عواطف بعلك واعرفي حاجاته واقضيها قبل ان يطالبك بها . حببي انفسك حرفته فاذا كان من اهل الادب مثلاً فرتبي اوراقه ومكتبه ونظفي اقلامه ودواته . وان كان طبيب فافعلي مثل ذلك . احضري هذا النوع من العمل بنفسك لان الخدم لا يتعودون ان يحبوه

(٩) — اعتني في اختيار صديقاتك فبالنظر اليهن يحكم العالم في مكانتك . لا تطلعي صديقة على شيء من دخائل منزلك ولا سيما من مساويه ونكباته .

(١٠) — فوق كل ذلك اظهري في احسن مظهر وفي منتهى البهجة والسرور حينما تجلسين الى المائدة لان الوجه القاتم يفسد الهضم وفساد الهضم ينبه مزاج السويداء . واعلمي ان المعدة الصحيحة تدل على عقل سعيد . عندي من الحديث معك ما يستغرق ساعات ولكن لي الثقة التامة بان ما قلته لك إذا

انتصحت به كفل لك السعادة التي تطمحين اليها . ظننت ان رجلك هو الرجل الذي توهمته كاملا فقد جردته من مخيلتك واريتك كما هو بالحقيقة . فمليك الان ياعزيزتي ان تكفيه ما استطعت لكي ينطبق على صورته التي في مخيلتك .

كوني نموذج الزوجات . احبي وشجعي وعزي واحتملي وسامحي واخدمي فتجدي انك تسلكين السبيل الذي يجعل الزواج بركة . لم اتكلم شيئاً عن واجبات زوجك ولكني لو كنت اباه لكتبت له اكثر مما كتبت لك . دعيني الآن أكلل رأسك ببركة العرس واقدمك لرجل آمالك . افرحي عزيزتي . والله يكون معك . الله يباركك . لا تبكي . اطلت نصيحتي لك لاني أحبك انى امك

(الوصية التاسعة ١)

(الكنة نحو حماتها)

كثيراً ما تمنى الكنة التخلص من حماتها كأنها قد ضاقت ذرعا عن احتمالها حتى تقول لجيرانها ومعارفها « كيف السبيل للتخلص من حماتي » وربما صادفت منهن رثاء لحالها فيتمكن

(١) نقلا عن مجلة الهلال الغراء

البغض في قلبها وتزداد أسباب التنافر ويؤول ذلك الى خراب البيوت . فما أجدر تلك الصبية الذاهبة عروسا الى بيت زوجها باكتساب محبة حماتها التي لم تفتأ منذ وضعت ولدها وهي تنتظر يوم اقترانه لتفرح به وتشاهد عروسه وقد تبدأ بمحبتها قبل أن تعرفها فيليق بالفتاة أن تعتقد ذلك وتجتهد في اكرام حماتها واعتبارها لئلا يتمكن التنافر بينهما وتكون العاقبة وخيمة عليها وعلى ذلك الزوج المسكين الذي يقع حجرا بين مطرقتين فاذا التزم جانب أمه أغضب امرأته وكسر قلبها واوقع التنافر بينه وبينها وان تبع امرأته أغضب والدته فتنفر منه وتلعنه فيكون عند ذلك ولداً غير صالح. فيجب على الكنة معرفة ذلك وملافاة الشر قبل وقوعه فانها اذا لم تحسن التصرف مع حماتها اوقعت زوجها في أشر الاحوال .

فيا أيتها الزوجة اذا كنت تحبين زوجك وتحترمينه غضي الطرف عن سيئات حماتك (اذا كانت لها سيئات) بل بادري الى اكرامها واكتساب رضاها وهي النقطة المهمة التي عليها مدار سعادتك وسعادة زوجك أو شقاؤكما ولا تستنكفي من ذلك

لان اذعانك لاكبر منك سنا أو لمن هي بمنزلة والدتك لايحط من شأنك بل هو شرف لك وداع لرفع منزلتك فى قلب زوجك وعيون معارفك وتكونين عند ذلك امرأة فاضلة حكيمة تضرب بك الامثال وأنت لا تحتاجين في اكتساب رضا حماتك الى أكثر من الاكرام الذي تفرضه الانسانية على كل صبية نحو من كانت أكبر منها سنا فكيف بمن هي والدة زوجها وسبب سعادتها وأصل عائلتها ومنشأ راحتها .

واعلمى أيتها الكنة أنك اذا بادأت حماتك بالاكرام والاحترام لا تلقين منها الا كل محبة واخلاص وحسن معاملة لانها أحبتك قبل ان عرفتك وقد قضت السنين الطوال تنتظر قدومك حتى تفرح بك فلا تخيبي لها أملا فضلا عن أن تكديرها يعود عليك وعلى زوجك بأضعاف أضعاف ذلك .

ومما يسبب غضب حماتك اشغالك زوجك عنها فيجب عليك ان تبذلي الجهد في ان يبقى على احترام والدته واكرامها واحترسي من ان تبالغي في الدلال عند زوجك امامها لئلا تقول (قد أخذت هذه الامرأة ولدي مني) وهذا التصور انما هو أصل اكثر الشرور القائمة بين الحماة والكنة بل يجب

ان تصرفي العناية في ما يؤول لراحتها ومرضاتها حتى تقول « لقد أتاني الله في شيخوختي كنة اشفق علي من ابنتي » ولا تكثري من الامر والنهي حتى تقول « جاءتنا بالامس فقامت تطلب تربيتنا »

واذا كان في منزلك خدم وجوار فاحترسي من ان تفوهي امامهم بما يشم منه رائحة الاحتقار لحماتك ولا تحببيهم اليك اكثر مما اليها فان ذلك يهيج نار الغيرة في قلبها واذا سمعت الخادم يقول لك « قد تعبت من معاملة سيدتي الكبيرة ولولا حضرتك ما بقيت ساعة في هذا البيت » ازجريه وعنفيه وقولي له « اطاعة الكبار واجبة والسيدة الكبيرة هي صاحبة البيت وهي الاصل ونحن كلنا الفرع » والافان غضبها لا يكون على الخادم بل عليك .

وأخيراً اعلمي انك ستكونين ذات اولاد ثم تصيرين حماة فعاملي حماتك كما تريدين ان تعاملك كنتك والسلام .

﴿ الوصية العاشرة ١ ﴾

(الحماه نحو الكنة)

(بقلم الكاتبة الفاضلة السيدة استير مويال ازهري)

من المقرر الذي يؤيده الاختبار والتجربة ان كل عمل تعددت رؤساؤه كان مصيره الخراب وعليه القول المشهور (السفينة التي رؤساها رباناًن تغرق) وانا أؤكد لك ايتها الحماة انك اكثر من كنتك علماً واختباراً واطول منها في شؤون المنزل عهداً ولكن هذا لا ينبغي ان تحمليه على التطول الآمر فاذا بدا من كنتك خطأ او تقصير اخذت في نصحها وارشادها بكلام لم تألف سماعه ولهجة تستتر بها الخيلاء تحت ثوب النصح بل دعيها بالله تباشر شؤونها بنفسها وتعتبر بما تفعل فاذا اخطأت مرة او مرتين ادركت خطاها ودلها التقصير على نفسها بدون ارشاد احد فتكون هي قد تعلمت من جهة وتكونين انت قد ابقيت على السلام العائلي الذي هو نعيم الحياة فتعلو منزلتك عندها ويعتز جانبك لديها . اما اذا رأيت خطأ فاضحا يسوق الى سوء ومكروه فلابد من الاشارة اليه ولكن بالكلام

---

(١) عن مجلة أنيس الجليس الغراء

اللين والنصح المقبول متجنبة مس كرامتها وأخلاقها او القاء تبعة الخطأ عليها فتحمل كلامك على محمل النصح الخالص والارشاد الأكيد ويكون ذلك ادعى الى شدة حرصها وحذرها من العود الى ذلك الخطأ . لا كما تفعل بعض النساء من اللواتي يأخذن بالتأنيب والتوبيخ متوهمات كناتهن بانهن لسن الا كمتاع في البيت لايهمهن الا الملبس والأكل ولا يعتبرن النفقة كثرت اوقلت وغير ذلك مما يؤثر في نفس الكنة ويكدر عيشها حتى تتخذ حماتها عدوة لها وتستعر بينها نار الحقد مما يكون اكثر الذنب فيه لك ايتها الحماة لانك أولى بالصبر على من هي أصغر منك سنا واقل تجربة وخبرة . ثم احذري ان تقيسي نفسك بنفس كنتك فتقولي لو كنت مكانها لما فعلت فعلها بل اعلمي كل العلم ان الفرق بينك وبينها عظيم جداً لانك بنت الماضي وهي بنت الحال وانك قد نشأت على كيفية لم تنشأ هي عليها وانا لا أتصدر الآن لبيان وجه التفضيل بين حاليكما من حيث الحقيقة ولكنني أقول ان زمانها الحاضر اولى بالاتباع واحق بالمطاوعة وان عادتها وتصرفها هي عادة الجمهور ومذهب الكل وتيقني ان كل ماكان قبلا قد اختلف

الآن اختلافاً عظيماً من جميع الوجوه فاذا كان لا بد لك من اتباع الواجب فاعلمي ان الذى تفعله كنتك الآن لا يصح ابداله بما كنت تفعلينه ولو فعلته لما طاوعها عليه أحد اذ انت ينبغي لك ان تفتكري ماضيك فقط لا ان تشيري باتباع ما كان يجرى فيه

وعدا هذا فانه يجب عليك دائماً ان تراعي شباب الكنة وتعتقدي ان الذي يحاولها في صباها ولا يحلو لك اولا تستطيعينه انه من حقها فعله وليس من حقك الرد عليه لانك كنت مثلها من قبل والذي سنته لك الطبيعة في صباك قد سنته لها ايضاً فهي ترث هذا الحق منك ثم تورثه لبناتها وليس لسنة الطبيعة من تبديل .

ثم اعلمي ان مغالبتك لجميع هذه الحقائق التى ذكرتها تسقط دعاويك ولو كان الحق لك فيها وقد تنفر ابنك عنك حتى يفوته واجب الامومة لان الرجل اذا كان لا يحب امرأته اكثر من أمه اولا يريد تفضيلها عليها فهو يحب الحق ولا سيما متى تساوى لديه الخصمان ولكنك قد تنكرين هذا وتتهمين ابنك بالعقوق ظلماً وهو بريء .

واني لا انكر عليك ان ليس كل ما تفعله الكنة حقا سواء في متابعتها مطالب الشباب أو جريها في شؤونها العامة ولكن هذا الخطأ الذى ترتكبه لا يجب ان يقابل بالشماتة والتشفي بل يجب ان يقابل بالدلالة عليه والتنبيه اليه خشية امتداد النفور والخلاف لانك انت فى نظر الكنة واعتقادها أصغر منها في نظرك واعتقادك ولو كنت أكبر منها سنا لان الشيخوخة تفضل الشباب في طول المدة وبعض الاختبار ولا تفضلها في كل شيء فانت اذا انكرت على كنتك شيئاً فصد شيئها واذلالها انكرت عليك اشياء لان الشيخوخة ضيقة مجال العذر والشبيبة تحتمل كل شيء فاذا شئت ان تكوني سعيدة مع ابنك فكوني لكنتك رفيقه صديقة ولا تكوني رئيسة آمرة واذا اعجزك ذلك فاسكتي يكن اولى

ثم اعلمي ان الطبيعة قالت للرجل احترم امك وحب امرأتك وشتان بين الاحترام والحب لان الاحترام واجب محدود واما الحب فواجب لاحد له وانت اذا اعتبرت هذا الحب حقا فلا ينبغي لك سلبه من قلب صاحبه ولا تنغيصه عليه واذا اعتبرته ظلما اعجزك رده الى العدل لانك ضعيفة عن اثنين

فلا تفسدي الاحترام الذي يمازجه الحب في مضايقتك للحب الذي كله احترام

﴿ الوصية الحادية عشر ١ ﴾

بقلم حضرة الكاتبة الاديبة رحمه صروف

فيازنابق الحقل ويا ازاهر الربيع اخلصن الحديث وليكن كلامكن على الاشياء لا الاشخاص ونكبن عن ذكر معايب صديقاتكن وانبذن تلك الاغياب ظهريا والافاهي تلك الصداقة اذ كانت صديقتكن لا تكاد تخرج من منزلكن وتتوارى عن انظاركن حتى تحول السنتكن التي كانت تطربها وتسبح بحمدها ساعة وجودها بينكن الى نابا افعى سامة وتتحول تلك الشفاه التي قبلتها الى ثلم صيتها والطعن عليها . فخير لكن ان تكن صما بكما من ان تحركن الشفاه ساعيات نامات . ومما يحرج الصدر ويحزن النفس شيوع ذلك في المجتمعات العائلية وغير العائلية فاذا لم تتحادثن في امور مفيدة ومواضيع ترقى

(١) عن مجلة المقتطف الغراء

العواطف وتشرفها

فالصمت زين والسكوت سلامة

فاذا نطقت فلا تكن مكثارا

﴿ تأثير المرأة في الهيئة الاجتماعية ﴾

ارشدتنا أسفار التاريخ الي ان المرأة ذات خطر عظيم يلاحظ تأثيرها في الاجتماع البشري كما يلاحظ تأثير العوامل في كيان الشعوب والامم ولذلك فضلت المرأة المتعلمة سواها من نوعي البشرية فهي بعلمها ومعارفها تؤثر في شعبها تأثيرا يناسب استعداد ذلك الشعب للخير أو للشر فاذا كانت المرأة في وسط مفعم بالاوزار عزيت اليها جميع الشرور واذا وقعت جريمة من الجرائم الكبار قال عقلاء قومها (فتش على المرأة) فانها منبع الجرائم ومصدر تحريك الفتن وموقظة عوامل الغوايات - واذا كان وسط المرأة مفعما بالمعارف الفاضلة ومسورا بالحضارة الراقية ومحاط بعلوم معروفة بتهذيب الخلال وتثقيف الخصال كانت (أي المرأة) منبع الفضائل ومنبت كل خصلة حميدة وخلة

رشيدة لهذا عرف العقلاء في كل زمان ومكان ان المرأة لها تأثيرا عام في حياة الاجتماع الانساني والوسط القومى فلا يستهان بمركزها ومقامها الادبي فانها اذا تعلمت كانت اما لكل خير ومعلمة لكل فضيلة ومرشدة الى اجتناب الرذيلة فلا تلقي في روع بنيها وساوس موجله ولا خرافات مخجلة بل توحي الى روح طفلها نور ادب كامل وآيات رشد فاضل

وقد بحث اساطين العالم في حياة المرأة ومالها من التأثير الحيوى في اخلاق الشعب فكتبوا وخطبوا وقالوا والفوا واهتموا ببيان مقام تلك المرأة وما يحيط بقومها من معارفها اذا تعلمت وكملت تربيتها وسمت خلالها ولا شك ان كل عاقل يشعر معنا ومع كل باحث في اخلاق المرأة لانها أصل من اصول الاجتماع

الم تر الى ملوك العالم وما لاحظوه عن المرأة مما اهتزت له أرائكهم واعتزت به عروشهم وقامت عليه دولهم ومن بين اولئك العواهل ذلك الامبراطور المشهود له بالشجاعة وقوة الحجة وحسن الحظ في فتح الممالك والانتصار بجيوشه وجحافله على خصومه فانه مع ما كان له من الجلال

والهيبة والوقار في قلوب الملوك وامراء الاقطار قد تحسب للمرأة وشعر بمقامها الحيوي وخطرها العظيم فلان مع شدته لنوعها وتواضع مع جبروته لارشاداتها وعدها فاتحة للقلوب والعقول، ومنيرة للافكار ومبددة الاوهام والفضول فاعترف للمتعلمات من النساء وصرح بان جهاد المرأة المتعلمة أفضل من جهاده وأظهر نتيجة وأعظم فائدة ولذلك كان يزور مدارس البنات ودور تربيتهن ومعاهد تثقيفهن حتى بلغت به العناية ان انشأ مدرسة لبنات قواده وضباطه الذين ماتوا في الحرب فرأى من حسن المكافأة لبنيهم وبناتهم انشاء تلك المدرسة النسائية التي قامت عليها مدام كامبان مدبرة ومديرة وكان يتردد على هذه المدرسة وعلى سواها اعلاناً لعنايته واهتمامه بمستقبل فتيات الامة الفرنساوية وأشعارا للشعب بان المرأة اذا تعلمت كانت ذات خطر عظيم وتاثير نافع في هيئة الاجتماع

ولقد حدث ذات يوم انه زار تلك المدرسة فعرضت مدام كامبان امامه صفوف البنات فاستعرضهن كما يستعرض الجيش النظامي فأعجب بما رأى غاية الاعجاب وانطلق لسانه

معربا عما اكنه في ضميره من احترام مستقبل المرأة و
بتأثر حياتها على حياة الشعب كله قائلا (اني قلما ا
جيشا مثل هذا الجيش العظيم فاني أتغلب على المماللك
الى بلادي وأما جوزفين (زوجته) فانها تضم حولي
الشعب) ولا خلاف في أن غزو القلوب وفتحها و
العروش لخير من غزو الشعوب وتملك الاجساد دون القلو
بهذا صرح نابليون الاول وقال كم ملكت من ممالك وقا
نافرة فلو كان الفتح فتح علم وتربية لكانت قلوب الممالك أسر
اجتماعا حولي من اجسادها ولما شعر هذا الملك الخطير بتأ
جهل المرأة على مستقبل الشعب وخاف نتائج اهمال تعلي
وتثقيفها قال « ان فرنسا في احتياج شديد الى امهات قادرا
على تربية الاولاد تربية حسنة لانها من أعظم اسباب اصلا
حالها وقطع فساد رجالها »

وبينما كان في نواحي بولونيا على ضفاف الفستولا
يدير حربا مهلكة لم ينس شعبه من الارشادات النافع
ولم يخف عليه امر وجوب العناية بالمرأة وهو في معامع ال
والفتح ولذلك كتب الى وزير المعارف بباريس يقول ا

اني احب ان تخرج البنات من المدارس فاضلات متعلمات غير منقادات الى الزي والدلال · صفاتهن الجاذبية من صفا القلب ومكارم الاخلاق وامر بتعليمهن المعاني والبيان والتاريخ ومن العلوم الطبيعية ما يخرجهن من ظلمات الجهل الى نور المعرفة والعلم الى ان قال وعليهن ان يرتبن بيوتهن بأيديهن ويخطن اثوابهن خصوصا ما يختص بالراس وان يتعلمن صنع الاثواب للاطفال لينفعن بذلك عند مسيس الحاجة اليه فانني راغب في جعل اولئك البنات نساء نافعات فاضلات)

ومما يدل على اهتمامه ايضا بالمرأة وشعوره بخطرها قوله (ان ما يبنيه الرجل في مائة عام تستطيع هدمه في عام واحد) وكان نابليون بونابرت مع ما هو مشهور عنه من شدة المراس وحدة الجنان خضع لتأثير امرأة وخشي من تأثير اخرى أما الاولى فهي زوجته جوزفين التى كانت لها السلطة المطلقة على فؤاده وحواسه ولا يخفي على قارىء ما دار بينه وبينها من الرسائل المشهورة واما الثانية فهي مدام دستايل الكاتبة الشهيرة التى كانت تشهر عليه سلاح

قلمها وتطعن عليه المطاعن الكثيرة منتقدة بعض اعماله واجراآته فأرسل اخاه يرجوها ان تترك الطعن عليه وتغمد سلاح قلمها وظن انها تنتظر مالا تخرس به صوت ضميرها فأبت وقالت اني لا اغمد سلاحي حتى اصل الى غايتي من اخيك فلم يستطع نابليون العظيم مقاومة هذه المرأة الفاضلة الا بابعادها ونفيها الى سويسرا ومع ذلك فقد كتبت هذه الفاضلة ثمانية عشر مجلدا كلها ملأى بالفنون المستظرفة والاداب الجميلة النافعة فكانت بذلك ذات شأن عظيم في عصرها وسمعة عالية في وسطها .

ومن هذا يتبين ان المرأة المتعلمة مرهوبة الجانب فى الخنوع لها والعمل على اتقاء شرورها اذا غضبت واغتنام فضائلها اذا رضيت وربما قلبت مجن السلام اذا ارادت أن تحرك خواطر الانام كما انها تستطيع هداية الماثلات الى خير شامل يحملها على الارتقاء الذي ينفع كافة الامة ويجعلها في المقدمة لغيرها من الامم

ومن حال نابليون وزوجته ومدام دستايل وشوكتها لادبية يتضح للقاريء عظيم تأثير المرأة في الهيئه الاجتماعية

هذا ومن اللازم الآن ان نذكر طرفا عن غير نابليون من عظماء الامم على اختلاف مذاهبهم الاجتماعية ونحلهم الملية واخلاقهم الادبية

فانه لما اعتزل اللورد بيكونسفيلد كبير وزراء انجلترا الاعمال ارادت الحكومة ان تمنحه لقب شرف جزاء خدماته فقال « اعطوا اللقب لامرأتي فكل الفضل لها على اعمالها » ولهذه المرأة الفاضلة اليد الطولى في شهرة زوجها وتنشيطه وتشجيعه على القيام بمهام الاعمال المشتركة المنافع التي ترفع ذكره وتجعله مشهورا بين الخطباء في مجالس النواب العام . وكانت كلما اراد زوجها القعود وملازمة البيت للراحة دفعته الى العمل وحركت خاطره الى منافسة اخوانه ومناظريه

وحدث مرة انها كانت مع زوجها في عربتهما فأغلق الحوذى باب العربة على أطراف اصابعها فتألمت كثيرا ولكنها أخفت آلامها لئلا تشوش على خاطر زوجها وهو يفكر فى الخطبة التي سيلقيها في دار الندوة

ومن تأثير المرأة الفاضلة مايكون خيرا لكثيرين ممن

يتناولهم تأثيرها ويسيطر بها عليهم من يخضع لارشاداتها فهي اذا قصدت انقاذ الارواح انقذتها وان رغبت في تخريب الربوع قوضتها فهي قادرة على كل شيء خصوصا اذا كان ذكاؤها مشوبا بفطنة ودهاء وحكمة وعلم ومما يدل على صحة ذلك ما حدث بين الملكة استير وقرينها الملك احشورش اذ تنبهت هذه الملكة الفاضلة الى الخطر المحدق بشعبها فنبهت اليه الملك وامكنها بحسن ذكائها وحكمتها ان تنقذ شعبها من هذا الخطر كما ورد في التاريخ المقدس ونص الحكاية ما يلي ملخصة عن التوراة

تزوج الملك احشورش احد ملوك فارس بفتاة يتيمة من بنات اليهود تدعى استير (١) تربت في حجر خالها مردخاي وحدث في اثناء ذلك ان احشورش الملك رفع مقام احد رجاله المدعو هامان واعلى شأنه في البلاد وعهد اليه ادارة

---

(١) استير ملكة فارسية من أصل اسرائيلي تزوجها الملك احشورش وبها سمي احد اسفار الكتاب المقدس لانه يتضمن تاريخها وعلى الخصوص حادثة المذبحة العمومية التي كادت تقع على الامة الاسرائيلية المأسورة في المملكة الفارسية

شؤون العباد والحق ...
الانعامات الكثيرة فارتفع شأن الرجل ونفخ الشيطان في
انفه روح الكبر والخيلاء وطغى وبغى وصب جام غضبه على
كل من كان لا يظهر له مزيد الاجلال والاعظام فهابت
سطوته الناس الذين اذا رأوه كان يسجدون امامه ركعا وكان
خال استير مردخاي خادما في باب الملك احشورش فهذا لم
يكترث بعظمة هامان ولم يبد له التعظيم اللائق فكان اذا مر
به يلبث جالسا دون ان يبدي له علامة من علامات احترام
الوزراء فاشتعلت بسبب ذلك نيران الغيظ في فؤاد هامان
وعزم على الانتقام من مردخاي انتقاماً هائلا لم يخطر ببال
احد وذلك ان نفسه الخبيثة سولت له ان يهلك جميع اليهود
المسبيين الذين كانوا في مملكة احشورش فدخل عليه ذات
يوم واقنعه بان اليهود قوم طغاة وقال له انه موجود شعب
مامتشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكتك
وسننهم مغائرة لجميع الشعوب وهم لايعملون سنن الملك
فلا يليق بك تركهم يعيثون في البلاد فسادا فاذا حسن
في عيني الملك فليكتب ان يبادوا وانا ازن عشرة آلاف

وزنة من الفضة في ايدي الذين يعملون العمل ليؤتى بها الى خزائن الملك . فاجابه احشورش الى ماطلب ودفع اليه ختمه فوقع به اوامر الى الولاة والحكام ناطقة بابادة اليهود في يوم معين فلما بلغ ذلك اليهود حزنوا حزنا شديدا وكانت بينهم مناحة شديدة بسبب الرعب الذي وقع عليهم ولبس اكثرهم المسوح وجلسوا على الرماد يصلون الى الله تعالى حتى ينقذهم من شر هذه البلية وهول ذلك المصاب

فارسل مردخاي يعلم استير بجلية الامر واشار اليها بالدخول على الملك وكشف النقاب له عن نوايا هامان السيئة لانقاذ شعبها من الهلاك بالسيف وكان الملك لا يعلم بان استير اسرائيلية فارسلت استير تقول الى خالها مردخاي بانها لا تستطيع الدخول على الملك بغير اذنه وان فعلت ذلك عرضت نفسها للهلاك فرد عليها خالها بقوله : لا تفتكري بنفسك بل قدمي ذاتك ضحية عن شعبك الا تعلمين انك ما وصلت الى القصر الملوكي الا باذن الله لمثل هذا اليوم فانقادت الملكه استير الى مشورة خالها وقامت من ساعتها وتضمخت بالطيب

وارتدت افخر ملابسها وأثمن حليها واجتازت امام غرفة الملك الذي لما رآها مدلها الصولجان وكان ذلك اشارة الى رضائه عنها والاذن لها بالدخول عليه ولما مثلت بين يديه قال لها الملك لاريب ان امرا هاما حملك علي الدخول علي في مثل هذا الوقت بدون سابق دعوة مني فاطلبي مني ما شئت حتي نصف مملكتي فانها تعطي لك فقالت له اذ احسن في عيني سيدي الملك فليتنازل لقبول دعوة امته مع هامان فأجابها الملك الى ذلك وفي اثناء الدعوة قال لها أطلبي يا استير مني ما شئت حتي نصف مملكتي فانها تعطى لك واذ ذاك خاطبته برقة تسلب العقول وتخلب الالباب وكشفت له النقاب عن سر المكيدة (١) التي كادها هامان الجالس أمامها اشبها فحمي وطيس غضب

(١) وكان هذا الحادث المهم العجيب في الثالث عشر من شهر اذار فانشأ مردخاي واستير عيد تذكار هذا الخلاص البهيج الي الابد وعيدا ايضا عيد الفوريم اى الاقتراع . ولا يزال اليهود الى الآن يحتفلون بالعيد المذكور في ١٤و١٥ اذار وهما عندهم يوما ولائم وافراح وهدايا (وتصدقات على فقرائهم وفي اليوم الاول منها يقرأ الجاوت في كنائسهم وقد نظم الشاعر راسين الفرنسوي المشهور سيرة استير شعراً

الملك وأمر بقتل هامان فصلبوه على خشبة كان أعدها ليصلب عليها مردخاي ثم أصدر أوامر أخرى لليهود ضد الأولى فنجوا بسبب ذلك من الهلاك والبلاء ولم يكن ذلك الا بتأثير استير على الملك احشورش ولا عجب في ذلك فالمرأة تستطيع ان تهز العروش وتدك أركان الممالك وتقلب الحكومات بما لها من السيطرة على القلوب والحكم على الافكار ومن النساء الشهيرات اللاتي بحسن تدبيرهن وتأثيرهن جنت الهيئة الاجتماعية فوائد جليلة كاترينا الاولى زوجة بطرس الاكبر أحد الرجال المصلحين العظام وقد قرأنا فصلا كتبه عنها فقيد العلم الشيخ نجيب الحداد فآثرنا نقله لما فيه من الفائدة وهو

(بطرس الاكبر (١) وامرأته (٢))

---

(١) هو بطرس روفتش الملقب بالكبير امبراطور روسيا ولد في موسكو في ١٠ يونيه سنة ١٦٧٢ وتوفي في بطرسبرج في ٨ فبراير سنة ١٧٢٥

(٢) ولدت في ولاية لبفونيا سنة ١٦٨٢ وسميت مرثا وابوها من مدبرين الاخانسر في الجيش الاسوجي واسمه يوحنا راب وتوفي

كانت الامبراطورة كاترينه قرينة بطرس الاكبر امبراطور روسيا من اعقل نساء زمانها واجملهن ولم تكن شريفة الاصل

قبل ولادتها بزمن قصير فربتها أمها ثلاث سنوات بالحزن والفاقة الشديدة وتوفيت وتركتها عالة على الناس فشفق عليها رجل من أهالي قريتها وعالها مدة ثم اتى بها كاهن لوثرى الى بيته في مدينة مرينبرج ويقال انها بقيت في بيته الى ان توفي وانها كانت خادمة لاولاده وانها كانت تلتقط من أولاده مبادئ العلوم التي كانوا يتعلمونها في المدارس وكل مايروى عنها في حداثتها اقاصيص لايركن اليها والذي يذكره المؤرخون انها تزوجت في مرينبرج بجندي اسوجي سنة ١٧٠١ وانه في السنة التاليــة فتح الروسيون مدينة مرينبرج وقتلوا زوجها وأخذوها أسيرة فضمها الجنرال بورالــيه ثم اتصلت بالاميرة فنشيكوف ورآها عندها الامبراطور بطرس الاكبر وأعجب بجمالها ولطف حديثها فقربها منه وكان قد طلق زوجته لمخالفتها له في المبدأ والرأي فعمد كاترينا في كنيسة الروم وسماها باسم كاترينا الكسيونا واشهر زواجه بها سنة ١٧١٢ وكان قد تزوج بها سرا قبل ذلك ويقال ان الداعي لاشهار زواجه بها انه لما فتح الحرب على الدولة العلية سنة ١٧١١ رأى أنه لاصبر له على فراقها لحبه لها ولمشاركتها له في الرأي واجتهادها في مرضاته واعجابها باعماله ومآثره فسافر بها علنا الى ميدان القتال كملكة محفوفة بالمجــد والجلال وكانت

جداً بما يؤهلها لان تكون قرينة امبراطور كبير ولكنه اقترن بها لجمالها وآدابها . فلما كانت ذات يوم وهي واقفة لدى مكتبه تقدمت اليه ورقة ليوقع عليها فسألته كاترين عنها فاخبرها انها حكم بالقتل على عشرين رجلا كانوا يأتمرون على قتله اغتيالا وقد علمت بهم الحكومة فحاكمتهم وصدر حكم قضاتها بقتلهم جميعا وهم ينتظرون توقيع القيصر لانفاذ الحكم ثم تناول القلم ليكتب توقيعه فامسكت كاترين يده وأخذت

تركب معه وتعرض نفسها للمتاعب والاخطار وتتلطف بالجنود وتزور المرضى منهم وتطيب قلوبهم

وفي سنة ١٧٢٤ ألبسها التاج وأوصى لها بالملك من بعده فجلست على سرير الملك بعد وفاته وقد قامت باعمال عظيمة لا لزوم لذكرها فليس هذا محله

وتوفت في السابع عشر من شهر مايو سنة ١٧٢٧ ولا مشاحه في انها كانت امرأة عظيمة أثرت على قلب ملك من أعظم ملوك عصرها ولم تقنع نفسها الكبيرة بانها صارت زوجة شرعية لهذا الملك الجليل بل رفعتها همتها الى عرش روسيا فصارت عالية على اشراف الروس العريقين في النسب واحسنت السياسة بينهم وأبقت لها في تاريخ روسيا ذكرا حميدا

منه القلم وقالت اذن فدماء عشرين نفسا يتوقف سفكها على سفك قطرات حبر من رأس يراعك قال نعم ذلك بحكم القضاة قالت بل بحكمك يا مولاي لان قضاءهم لا يتم الا بأمرك وقد فعلوا هم ما يجب عليهم من العدل فافعل انت ما يجب عليك من الرحمة والعفو قال ان العفو مستحيل فانهم قد نووا لى القتل فهم مجرمون قالت انهم قد عزموا على قتل واحد ولم يفعلوه فعدتهم مجرمين يستحقون العقاب وها انت الآن تفعل اكثر منهم أي تنوي قتل عشرين ثم تريد انفاذ القتل فعلا فايكما اشد جرما امن ينوى لقتل واحد ثم لا يقتله ام من ينوى قتل عشرين ثم يقتلهم جميعا قال لا بد من قتلهم لا انتقاما منهم ولكن ليكنوا عبرة لسواهم قالت هيهات ان اسمح لك بذلك أو ان ادعك تلطخ وشاح ملكك بدم قوم لم يجرموا اليك الا بالقصد دون الفعل • فغضب القيصر من شدة اصرارها ومنعها له من انفاذ قصده (ونهض حانقا هائجا وضرب بكفه مرآة نفيسة من اثمن المرائي فى ذلك العهد فكسرها قطعا ثم أخذ يسحق تلك القطع بقدميه والتفت الى كاترين وقال

لها هكذا اعيد كل من يعصيني الى اصله . كما اعدت المرآة غبارا (يشير بذلك الى اصل امرأته وان يتهددها بارجاعها كما كانت) فتبسمت تلك المرأة الفاضلة وقالت انك تقدر يامولاى ان ترجع كل شيء الى اصله كما فعلت بهذه المرآة ولكن اذكر انك تكون قد كسرت زينة قصرك . .

فسر الامبراطور من جوابها وسرى عنه الغضب وأمر بالعفو عن المجرمين وانقذت تلك الامبراطوره بعقلها وحسن جوابها عشرين رجلا من القتل

ومن اهم ما قامت به كاترينا نحو زوجها وشعبها انه حدثت حرب بين روسيا والدولة العلية سنة ١٧١١ وكانت فيها الدائرة على جنود بطرس وكاد العثمانيون ان يوقعوا بطرس الأكبر فى الاسر فذهبت كاترينا مع نساء حاشيتها وبعض الضباط وقابلت القائد العثمانى وبحكمتها الصائبة وافكارها الثاقبة استطاعت ان تعقد معاهدة صلح بين الحكومتين فعادت الجنود العثمانية على اعقابها وكان في امكانها لو تتبعت الجنود الروسية لأوقعت بها النكال واخذت ملكها اسيرا

ماحدث بين ملك الانكليز (١) وزوجته (٢) لمباحاوب الفرنساويين وهو بنصه كما ورد في مجلة المقتطف الغراء

حاصر ادورد الثالث ملك الانكليز مدينة كالاى بفرنسا حصاراً شديداً مديداً حتى رضخ اهلها لتسليم ستة من اكابرهم للقتل فدية عنهم ورفعاً للحصار عن المدينة .

---

(١) هو ادورد الثالث اكبر أولاد ادورد الثاني وايزابلا الفرنسوية ولد فى وندسور في ٣ نوفمبر سنة ١٣١٢ (مدينة في انكلترا على الشاطىء الايمن لنهر التاميز على بعد ٣٤ كيلو متر من شمال لوندرا وعدد سكانها ١٢٣٢٧ نفسا على حسب تعداد سنة ١٨٩١) ونودى باسمه ملكا لانكلترا في ٢ يناير سنة ١٣٢٧ وفي ٢٤ يناير سنة ١٣٢٨ تزوج بفيليبا وتوفى في ٢١ يونيه ١٣٢٧

(٢) هي فيليبا ملكة انكلترا ولدت سنة ١٣١٤ وتزوجت بأدوارد الثالث في ٣٠ يناير سنة ١٣٢٨ بمدينة يورك (مدينة في انجلترا وعاصمة المقاطعة المسماة باسمها وهى واقعة على ملتقى نهير الفوس بنهير أوس وعدد سكانها ٧٧٧٩٣ نفساعلى حسب تعداد سنة ١٩٠١) وتوجت بمدينة وندسورفي ٤ مارس سنة ١٣٣٠ واولادها الملك سبعة أولاد وخمسة بنات وتوفيت في وندسور في ١٥ أغسطس سنة ١٣٦٩

فتبرع قاندهم سانت بيار بتضحية نفسه عن وطنه وكذلك فعل ابنه وانسباؤه وبقي السادس فانتخب بالقرعة من بين كثيرين آخرين قدموا نفوسهم ضحايا عن الوطن . وكان الملك ادورد قد ارسل رجلا من بطانته اسمه السير ولترموني . لاستلامهم فلما راى منهم ما راى تعلق قلبه في حبهم وحار عقله في سمو شهامتهم وكمال مروءتهم وتاقت نفسه الى انقاذهم . الا ان الملك اصر على قتلهم وامر بعض جلاديه ان يذهب بهم ويضرب اعناقهم وللحال سمع صوت هاتف في المحلة فاذا بالملكة قادمة في عدد غفير من الابطال المحنكين فركض السير ولترموني للقائها وقص عليها ماكان من امر الاسرى وحكم الملك بقتلهم . فلما بلغت منزل الملك خرج في حاشيته وقابلها بالاكرام والسترحاب فقالت ان لي كلاما اريد ان اكلمك به على انفراد ايها الملك فقال لها حبا وكرامة ودخل الى مخدع فقالت له لاتقل اني اشفع الآن في حياة بعض الصناع فما انا الا شفيعة لاعتبار الامة الانكليزية وصون شرفها وتوطيد مجد زوجي ومليكي ادورد . اتظنك قد حكمت على اولئك

السته بالقتل كلا بل انهم قد حكموا على انفسهم فاذا قتلوا قتلوا بامر منهم لا منك ايها الملك . ولاتحسبن الموقف الذي يقتلون فيه موقف عار وهوان على اعدائك . انما هو موقف مجد وكرامة لهم وذل وهوان لك وخذل انصرك وعار على اسمك مدى الايام . فقال نحبط مساعيهم فلا نكسبهم المجد على نفقتنا كما يرغبون ولا نذكي لهم نار الشرف كما يتمنون بل لندفننهم بالعطايا ونفشلنهم بالمديح فلا يظن الناس فيهم حسنا ولا يخلدوا لهم ذكرا جميلا والا فالمجد والكرامة نصيب كل من يجاهد في سبيل الشرف والفضيلة

قال الملك لقد اصبت فغلبت فليكن لهم كما قلت واوعز الى بعض رجاله في استحيائهم واحضارهم اليه . فلما وقفوا في الحضرة خاطبتهم الملكة بلسان يقطر الشهد حلاوة ووجه يفيض بالاشراق بشاشة وطلاقة فقالت : يااهل فرنسا وسكان كالاى لقد حملتمونا مالا يطاق من سفك الدماء وبذل الاموال في استرجاع ميراثنا الحق العدل على انكم انما فعلتم خير ماحملكم حكمكم بالخطأ على فعله

فاستحققتم منا الاعتبار على ما بدا من بأسكم وثباتكم والمديح على شجاعتكم واقدامكم ولو كنتم قد حرمتمونا التمتع بحقوقنا الشرعية زمانا طويلا . فيا ايها القوم الافاضل انكم وان كنتم الد الاعداء اشخصنا وامتنا فليس لكم الآن في قلوبنا الا الاعتبار والمحبة وقد اختبرناكم فوجدناكم اهلا لان تحل قيودكم وترفع الصوارم عن اعناقكم ويسدي الشكر على فضلكم لما عاملتمونا من النعمة بما دلت عليه افعالكم وهو الكرامة ليست صفة في الدم يتوارثها الابن عن ابيه ولا النبالة مخصوصة بسمو الالقاب ورفعة المنزلة بل ان الفضيلة تلبس المرء ثوب المجد والكرامة وترقيه الى ماهو اسمى من مناصب الملوك وان من بث فيه من الاحساسات الكريمة التي بثها فيكم اهل بالرفعة والعظمة مهما كانت منزلته . فانتم الآن احرار فاذهبوا الى انسبائكم وابناء وطنكم وكل الذين فديتم حياتهم بشهامتكم ولا ترفضوا علامات اعتبارنا هذه لكم . وانا لنود ان نقيدكم بكل منة واحسان فاقبلوا منا اذا شئتم مايغدقه عليكم ادورد من الهدايا والالقاب . ويا حبذا لو اتيح لانكلترا ان يكون لها

اولاد مثلكم يسابقون الى الشرف ويواثقون على الفضيلة والمروءة

فصرخ قائدهم سانت بيار واوطناه لقد ذاب قلبي فيَّ عليك فان ادورد يغنم مدننا ولكن امراته قد غنمت قلوبنا

سبب حرب الفجار الثانى

ومن الروايات التاريخية الدالة على تأثير المرأة في الهيئة الاجتماعية وعلو منزلتها بينها ان امرأة من بنى عامر قدمت يوما الى سوق عكاظ فدنا منها شاب قريشي من بني كنانة وتحكك بها وقد تطاول في تصرفاته مما لم تستطع معه تلك المرأة على السكوت فنادت بأعلى صوتها يابني عامر هلموا اليَّ وارفعوا عني العار وادفعوا بسيوفكم الشنار فقدكاد هذا الشاب يمزق حجاب عرضي ويقودنى الى حتفي وتتحدث العرب بذكري وتلطخ قبيلة بني عامر بالعار ويسجل لها ذلك في بطون الاسفار

فدبت الحمية العربية في رؤوس قومها واستلوا سيوفهم

ونادى الشاب في دوره بابني كنانة فتوافد عليه ابناء عشيرته والتحم القومان وجرت بينهما حرب عنيفة سفكت فيها الدماء وحصدت الرؤوس

وكان للخنساء اربعة بنين فلما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت معهم وهم رجال وحضرت وقعة القادسية سنة ١٦ هـ (٦٣٨م) واوصتهم من اول الليل : يا بني انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين . والله الذى لا اله الا هو انكم بنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم . ولا غيرت نسبكم . واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية . اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت ناراً على اوراقها . فتيمموا وطيسها . وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة . فى دار الخلد والمقامة . فلما أضاء الصبح باكروا مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون اراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتي قتلوا عن اخرهم فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وارجو ربي يجمعني بهم في مستقر الرحمة . .

وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنيها الاربعة . حتى قبض

ومن هذا يتضح للقراء ويظهر جليا ان المرأة عظيمة التأثير على الهيئة الاجتماعية وأنه لا بد للشعوب من العناية بأمرها وتهذيبها وترقية مداركها حتى لا يكون خطرها على الاجتماع خطر بل يكون خيراً وبشعبها برا وفي هذا القدر كفاية لمن تدبر وعقل وعرف ان تربية البنات من الواجبات وأن تأثيرهن يجب أن يصان من العبث وسوء السلوك ولا يتم ذلك الا بالرقابة وتمام العناية والاهتمام والله ولي الشعوب التي تدرك ما فيه خيرها فتعمل على الوصول اليه من أيسر سبله وأنفع وسائله

وهذا تاريخ ابن خلكان أعدل شاهد على تأثير المرأة فانه قد أورد تراجم عدد كبير من شهيراتهن وكان معجباً بما قمن فيه من الاعمال المجيدة التي عادت على أمتهن بالخيرات الوافرة والنعم الجزيلة وكان بودنا أن نزين صفحات كتابنا بنقل بعض تلك الترجمات فمنعنا عنها ضيق المقام واكتفينا بالاشارة اليها وهذا أيضاً كتاب الدر المنثور لمؤلفته الكاتبة البارعه السيدة زينب فواز فانه مملوء بتراجم ربات الخدور

على إختلاف المـذاهب والنحل مما يدل دلالة واضحة على تأثير المرأة على مجموع هذا الكون

﴿ تربية البنات ﴾

من رجع الى تاريخ الامم القديمة والحديثة وطالع ماخطه كتابها وفلاسفتها من المخطوطات وماوضعوه من المؤلفات يجد من بينها قسما كبيرا بل ونصيبا وافرا مخصصا بتربية المرأة وتثقيفها وتهذيب اخلاقها وكيفية انشائها ونمائها لتفيد الهيئة الاجتماعية الفائدة المطلوبة منها لانها بلامراء تؤلف نصف الهيئة الاجتماعية. وان شئت زيادة في التعبير فقل انه يتوقف على إصلاح المرأة اصلاح الكون وعلى فسادها فساده . قال المأسوف عليه اديب بك اسحق فقيد العلم والادب عن المرأة

فهي شيطان اذا افسدتها * واذا اصلحتها فهي ملك

وقدر مي أولئك الكتاب والفلاسفة الافاضل فيما كتبوه الى غرض شريف وما رب نبيلة الا وهي خدمة الجنس البشري واصلاحه وتطهيره من ادران الفساد واحاطته بسياج الآداب

لانه كما لا يخفى ان الرذيلة في هذا الكون تسير الى جانب الفضيلة كتفاً لكتف والنفوس ميالة الى السوء سهلة الانخداع والغرور ميسرة الوقوع في حبائل الرذائل والعلماء هم نبراس الازمنة تسير بهديهم الامم وتقتبس الفضائل من مخطوطات اقلامهم وبنات افكارهم ولقد اجمع اولئك الكواكب في كل آن وزمان على ضرورة تعليم المرأة اية كانت حالتها ودرجتها في الهيئة الاجتماعية لأن العلم الصحيح المبنى على اساس الدين والآداب هو اعظم حصن منيع يقي المرأة من الجنوح الى اجتراح السيئات واقتراف الموبقات بل هو مصباح منير يسدد خطواتها ويقوم اعوجاجها ويرشدها الى الواجبات الملقاة على عاتقها نحو بنيها وزوجها واهلها واقاربها بل وافراد الوسط المقيمة فيه غير اننا اذا رجعنا الى تلك الازمنه التي كتب فيها الكتاب الكتب الضافية نجدها مخالفة لزماننا الحاضر مخالفة لاتخفي على احد فقد كانت العصور الخالية اصفى من زماننا الحاضر واهلها اطهر سيرة واقوم سيرا من اهل هذا الزمان فلم تكن منتشرة بينهم الخلاعة وضروب الفجور مما نراه اليوم ولذلك نحن سنورد اقوال بعض الفلاسفة في تربية المرأة وإتماماً للفائدة نذكر شيئاً عن حالتها في هذه الايام

وما وصلت اليه من الامتهان وقلة الاهتمام بشأنها حتى اصبحت كالسلعة التي لا قيمة لها أو هي بتعبير آخر اضحت آلة للفساد واحبولة لجر الشقاء والتعاسة على بني جنسها من الرجال والشبان وقد جر عدم الاهتمام بها صنوف النوائب وضروب المصائب على الهيئة الاجتماعية مما لا يحتاج اثباته الى دليل وحالة المرأة اليوم بين المسلمين اتعس منها حالاً عند سائر الامم الاخرى التي لعبت المرأة دوراً مهماً في تقدمها ورقيها وادراجها رويداً رويداً في معارج الفلاح ومدارج النجاح وقد كانت للمرأة في صدر الاسلام منزلة عالية ومكانة رفيعة فاشتهر منهن عدد وافر بالعلم والادب والتعلم من الفقه والعلوم الشرعية وما زالت على حالتها حتى الدولة العباسية التي مدت لواء سلطتها في الخافقين وازهرت على عهدها العلوم والمعارف وارتفع مع ذلك شأن المرأة ارتفاعاً هائلا ولكن على أثر سقوط الدولة العباسية أخذت حالة المرأة تتدرج في السقوط واخذ المسلمون يحجرون عليها بما اقتبسوه عن دولة الفرس وانتشرت دولة الاغوات تلك الدولة الجائحة التي بثت الدسائس ونشرت روح الاحن والفتن في البلاد

ولم يمض على المرأة عهد طويل حتى اصبحت مسجونة بين جدران منزلها لا تعرف شيئا مما يجرى خارجه ومع تمادى الايام زادت حالتهن حرجا وانحطاطا الى ان بلغت ما هي عليه اليوم من عدم اهتمام عامة المسلمين بتعليمها العلوم التي تنير افكارها وتزيل عن ابصارها غياهب الجهل والاعتصام بحبال الخرافات والمعتقدات الواهية التي تقودها في اغلب الاحيان الى التورط بأمور تجر عليها الوبال ولو انها كانت على شيء من العلوم لاستطاعت تلقينها الى ابنائها منذ نعومة اظفارهم ولاستطاعت ايضا ارضاعهم لبان الآداب مع اللبن فتنمو مع نموهم حتى اذا شبوا وخاضوا ميدان هذه الحياة المشوب بادران المفاسد يستطيعون درأها عنهم والاحتفاظ بما تعلموه عن الوقوع في شرك الدنايا . والطفل يشبه مرآة صقيلة اذا تعهدتها ونظفتها بين حين وآخر لبثت صافية تريك وجهك كما هو والعكس بالعكس والطفل ايضا يشبه شجرة صغيرة اذا زرعها الانسان يعتني بها بادىء بدء اعتناء شديداً من سقيها وتسميدها والتحفظ عليها لتعطيه ثمرا صالحا . فكم بالحرى ينبغي علينا ان نهتم بالاطفال لتدريبهم على الخير

وابنائهم على الصلاح حتى يشبوا اعضاء نافعين في جسم الهيئة الاجتماعية فأذا لم تكن لهم ام صالحة متعلمة ترشدهم الى الصلاح وتغرس في قلوبهم بذور الفضائل والآداب فأني لهم النمو على الجد والنشاط والاستقامة . المسلمون الآن لا يهتمون الا بتعليم الفتيان وتخريجهم من المدارس العالية محرزين منها الشهادات الناطقة بنجاحهم ليتسنى لهم الانتظام في سلك الوظائف والسير في ميدان هذه الحياة الواسع ولكن كثيراً ما لا تنفعهم جميع العلوم التي تلقنوها والشهادات التي احرزوها فيميلون الى المفاسد ويجنحون الى البطالة ويسيرون تحت لواء الرذائل وليس ذلك الا ان اساس تربيتهم الاولية فاسد فهم من هذا القبيل يشبهون بيتاً بني بغير أساس فلما جاءت الامطار وهبت الرياح هدمت ذلك البيت فزعزعت اركانه واسقطته وكان سقوطه عظيما. وقد قرأنا في بعض الكتب التاريخية ان الانكليز عرضوا على زنوج احدى المستعمرات التي فتحوها حديثاً انشاء مدرسة لتعليم ابناء المستعمرة وخيروا أهاليها في انتقاء المدرسة فطلب أولئك الزنوج ان تنشأ لهم مدرسة فقط لتعليم البنات واوضحوا طلبهم هذا بقولهم ان

البنات اذا تعلمن وكبرن واصبحن زوجات يستطعن تعليم ابنائهم مبادىء العلوم وارشادهم الى الصراط القويم فيغرسن في قلوبهم الميل الى الاقبال على العلم وهي والحق يقال فكرة صائبة عرفها الزنوج المتوحشون وخفيت معرفتها عن المسلمين الذين انزل عليهم كتاب الله العزيز الذي رفع منزلة المرأة وساواها بالرجل وخولها حقوقا لا توجد للمرأة عند اكثر شعوب اوروبا المتمدنة وكفى ما جاء في القرآن

﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف (١) ﴾

كلف الله تعالى النساء بالايمان والمعرفة والاعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما كلف الرجال وجعل لهن عليهم مثل ما جعل لهم عليهن وقرن اسماءهن باسمائهم في آيات كثيرة وبايع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمنات كما بايع المؤمنين وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما امرهم

(١) نقلا عن مجلة المنار الغراء مما اقتبسه صاحبها من تفسير الامام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية .

واجمعت الامة على ما مضى به الكتاب والسنة من انهن مجزيات على اعمالهن في الدنيا والآخرة . افيجوز بعد هذا كله ان يحرمن العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولأولادهن ولذي القربى وللامة والملة . العلم الاجمالي بما يطلب فعله شرط في توجه النفس اليه اذ يستحيل ان تتوجه الى المجهول المطلق . والعلم التفصيلي به المبين لفائدة فعله ومضرة تركه يعد سبباً للعناية بفعله والتوقي من اهماله فكيف يمكن للنساء ان يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها اجمالا وتفصيلا؟ وكيف تسعد في الدنيا والآخرة امة ونصفها كالبهائم لا يؤدي ما يجب عليه لربه ولا لنفسه ولا للناس والنصف الآخر قريب من ذلك لانه لا يؤدي الا قليلا مما يجب عليه من ذلك ويترك الباقي ومنه اعانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه أو الزامه به بماله عليه من السلطة والرئاسة

ان ما يجب ان تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدود . ولكن مايطلب منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من امور الدنيا كاحكام المعاملات — ان

كانت في بيت غنى ونعمة — يختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال . كما يختلف بحسب ذلك الواجب على الرجل . الا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل النفقة والسكنى والخدمة اللائقة بحال المرأة . ألا ترى ان فروض الكفايات قد اتسعت دائرتها فبعد ان كان اتخاذ السيوف والرماح والقسي كافيا في الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفا على المدافع والبنادق والبوارج وعلى علوم كثيرة صارت واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالامس ؟ ألم تر أن تمريض ومداواة الجرحى كان يسيراً على النساء في عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) وعصر الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وقد صار الآن متوقفاً على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة — اى الامرين افضل في نظر الاسلام . اتمريض المرأة لزوجها اذا هو مرض ام اتخاذ ممرضة اجنبية تطلع على عورته وتكتشف مخبآت بيته ؟ وهل يتيسر للمرأة ان تمرض زوجها او ولدها اذا كانت جاهلة بقانون الصحة وباسماء الادوية ؟ نعم قد تيسر لكثيرات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الادوية السامة او بجعل دواء مكان آخر .

روي ابن منذر والحاكم وصححه وغيرهما عن علي كرم الله وجهه انه قال فى تفسير قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً) علموا أنفسكم واهليكم الخير وادبوهم : والمراد بالاهل النساء والاولاد ذكوراً وإناثاً وزاد بعضهم هنا العبد والامة والاهل في أصل اللغة القرابة . واذا كان الرجل يقي نفسه واهله نار الآخرة بتعليمهم وتأديبهم فهو كذلك يقيهم بذلك نار الدنيا وهي المعيشة المنغصة بالشقاء وعدم النظام »

والتطلع على الآية وتفسيرها بعين الامعان يرى ان المرأة لا تقل عن الرجل في المسؤولية في الدارين ونرى القوانين الوضعية لا تعافيها اذا ارتكبت جريمة ما ولا تقضى بتخفيف عقوبتها بل نرى الرأى العام جسم مسؤليتها . فمثلاً اذا استهوي رجل يبلغ من العمر ٤٠ عاما فتاة لايزيد عمرها عن نصف عمره وانتهز فرصة ضعفها وفسق بها فيحكم الرأى العام على الفتاة بأنها اضاعت شرفها وفقدت تلك الجوهرة الثمينة ويصبح اسمها ملطخاً بالعار حليف الشنار ويترك الرجل وشأنه كأنه لم يرتكب فرية مع انه هو المقترف

لتلك الجريمة العظمى وما ذلك الا لان مسؤولية المرأة عظيمة امام الرأى العام

وقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) جملة احاديث يحض المرأة فيها على طلب العلم فلنقتصر منها بالقليل ..

(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) كما ورد في الاثر . و(على المسلم والمسلمة ان يرحلا في طلبه ولو الى الصين) كما ورد ايضا . و(عليهما ان لا ينيا في طلبه في كل طور من اطوار حياتهما ولو على حافة قبرهما . « اطلب العلم من المهد الى اللحد » وقال الفقهاء ان للمرأة أن تخرج من بيتها لاجل تلقى العلم اللازم لها ولو بغير اذن زوجها اذا عارضها هذا في الخروج . وقالوا ايضا ان الامة (الرقيقة) المسلمة لاتعذر بالجهل فلو جهلت حكما شرعا ونشأ عن جهلها ارهاقها واعناتها جرى الحكم عليها ولم تكن مرحومة ولا معذورة في الجهل لان عليها ان تتعلم وتعمل بما تعلمت

وقد كان فى عهد النبوة معلمات للكتابة يعلمن النساء منهن الشفاء بنت عبد الله

وكان في نسائه (صلى الله عليه وسلم) من تحسن الكتابة كعائشة وحفصة

سبق لنا ان طلب العلم مشترك الوجوب بين الرجال والنساء وبناء على هذا الاصل الديني قدطالما برع منهن كرائم اربين في العلوم على ذوي العمائم . وهاهى التواريخ عابقة بعبيرهن ذكراً زاهية باخبارهن زهراً

وكان الامام مالك يقرأ الموطأ فاذا لحن القارئ في حرف اوزاد او نقص دقت ابنته الباب فيقول ابوها للقارئ ارجع فالغلط منك فيرجع القارىء فيجد الغلط

وسمع الامام الشافعى الحديث عن السيدة نفيسة ولما توفى صلت عليه

فالفتاة المسلمة اليوم تتربى في زوايا البيوت وبين جدران المنازل وتشب بين الخادمات الجاهلات والجواري اللاتي هن اقرب الى الحيوان منهن الى الانسان فتقتبس منهن العادات الرديئة والاخلاق الذميمة وبذاءة اللسان وسفاسف الاقوال وتافه الافكار وتلبث على هذه الحالة بين عوامل السفالة والفسادالى ان تبلغ سن الرشد ويصبح مطمح

ابصارها ومحط آمالها الحصول على زوج يقيها شر الحاجة ويدفع عنها الاعواز ويقدم لها كل ماتتمناه نفسها من كساو وطعام وشراب وحلى نفيسة وقد تهجم عليها امثال هذه الافكار وتساورها هذه الوساوس فتحرمها لذيذ العيش وتخطف نضارة وجهها لانها تتخيل بان السعادة ستنفد عليها بجيوشها الجرارة اذا حصلت على ذلك الزوج الذى ربما تراه في منامها مراراً على اشكال متباينة وصور متعددة واذا اتاح لها الزمان بالحصول على ما تمنت وتحققت آمالها فلا تلبث كثيرا حتى تقع في أشد النوائب وتهجم عليها جيوش الغموم وتحدق بها الهموم من كل جانب وتصبح تندب سوء حظها وتتمنى لو بقيت عذراء في بيت ابيها طول ايام حياتها ولم ذلك ياترى؟ذلك لانها تتزوج بشاب متعلم يخالفها في العقل والاخلاق والآداب فيصطدم العلم بالجهل واستنارة الافكار بالخزعبلات والخرافات والحقيقة بالوهم وتقوم بينهما حرب عوان تجر وراءها الشقاء والويل والثبور وعظائم الامور وهنالك الطامة الكبري والمصيبة العظمى وجميع ماذكرناه امر طبيعي لا مندوحة عنه فان النفس تميل الى معاشرة من يماثلها

وينسج على منوالها في كل أمر وهو أمر محسوس نشاهده في فضائل الحيوانات والطيور التي تميل الى معاشرة أمثالها فما قولك في الانسان المخلوق على أحسن تقويم بل فيه نفس حية هي من روح الله جل جلاله . وقد علل كثيرون من المفكرين وأصحاب المدارك السامية بأن اختلاف العقول في نسائنا ورجالنا والبون الشاسع الموجود في تربيتهما وتعليمهما هو السبب الاعظم بل الداعي الاكبر الى انتشار مبادىء الفساد في الشرق واقبال شبان المسلمين على معاشرة النساء الغربيات حتى الباغيات منهن حيث يجدون منهن آدابا باهرة وحديثا طلقا صادراً من رؤوس مملوءة بالعلم والمرأة من نفسها جذابة للعقول مستميلة للنفوس فما قولك اذا كان حديثها في العلوم والاداب والمناقشة في الشؤون العامة الوطنية والخارجية والمباحثة في العادات والاخلاق وتربية البنين الى غير ذلك مما يطيب ذكره وتتعطر المجالس بنشره وامثال هؤلاء النساء يحببن للرجال الاقامة في البيوت ويحلن بينهن وبين تقضية الليالي في الحانات واندية الميسر والفساد . امثال هاته النساء يزين بيوتهن فيجعلنها بحكمتهن قصوراً شامخة وحدائق غناء ميادين

كل فاكهة زوجان

ولا يخفى ان الرجل يقضي اكثر اوقاته مصارعا في ميدان الحياة مجاهداً في مضمار الاعمال وكثيراً ما يصطدم بالخسارة ويتعرض للاكدار وتساوره جيوش الهموم والغموم فيعود الى بيته مقر سعادته ليجد فيه الراحة بعد العناء ويزيل ما علق بنفسه من عوامل الاسى غير انه لا يصيب المرمي في اكثر الاحيان بل اذا عاد الى البيت يجد فيه ما يزيده احزانا على احزان مما يدعه يولي الادبار ويعود على الاعقاب ويلتجيء الى احدى الحانات ويسارع الى معاطاة الخمرة ليغسل بكؤوسها الهموم ومما لا مراء فيه ان الخمرة رأس المعاصي تقوده الى ارتكاب المنكرات واجتراح السيئات . ولو كانت زوجته متعلمة آخذة نصيبا وافراً من اصول التربية الحقيقية عارفة بواجباتها الزوجية لاستقبلته حين عودته بوجه باش ولسان طلق يقطر شهداً وورت اليه دواعي الانشراح والمسرات واخذت تمر به بما رت هي الحلاوة بعينها او الطلاوة بنفسها فتجذبه بمغناطيس لطفها وتؤثر عليه برقتها وتستميل عواطفه وتبث في نفسه نشوة الجذل والانشراح وتزيل بحكمتها

ما علق في نفسه من الاتراح وكل هذه الامور اذا وجدت في الزوجة تجتذب الرجل وتوفر اليه اسباب الصفاء والسعادة وتحبب اليه الاقامة في بيته متلذذا بلطف زوجته ومداعبة اولاده واستماع نكاتهم الادبية الصبيانية المضحكة المزيلة للهموم وتتوثق بينه وبين زوجته رباطات المحبة الصافية التي لا يشوبها رياء ولا جرم فالمحبة الزوجية اذا وجدت كانت فيها التعزية عند الكوارث والطمأنينة عند المخاوف والراحة عند التعب والاقدام عند المواقف الحرجة ولكن اني لمرأة اليوم ان تجتمع فيها هذه الصفات الجليلة والمزايا الاثيلة وهي على ماهي عليه من الجهل المطلق والحبس الدائم في جدران البيوت لا ترى شيئًا من آثار المدنية وليس فى امكانها مطالعة الكتب المهذبة والمجلات العلمية المتضمنة لاصول الآداب ولا سيما النسائية منها التي تورد كثيرا من اخبار النساء الفاضلات اللائي قمن بالاعمال المجيدة وهذبن نفوس كثير من الرجال العظام فابرزنهم الى العالم وسقنهم الى ركوب مطية النجاح ودفعنهم الى الاقدام على أعظم المشروعات كوالدة نابوليون بونابرت ذلك الفاتح العظيم فان الفضل في

تربيته كان راجعاً الى والدته التي اعتنت به اعتناء شديداً مع ما كانت عليه من الفقر المدقع والاحتياج الشديد فانها كانت تغسل ملابس الناس في وطنها جزيرة كورسيكا وتنفق منهـا على تربيته وتثقيفه وكانت اذا فرغت من اعمالها وجلست الى جانب ابنها في الليالى اخذت تسامره وتروي اليه من اعمال الرجال العظام مادب في نفسه الميل العظيم الى مجاراتهم ومباراتهم واقتفاء آثارهم وكان من امره ما كان مما لا يحتاج الى طويل شرح وتبيان . وامامنا الآن كتاب عنوانه « امهات الرجال العظام » مملوء بالشواهد العديدة والادلة التاريخية على ماللمرأة الفاضلة من الاهمية الكبرى في حياة ابنائها كنا نود ايراد شيء منه لولا ضيق المقام واما فتاتنا السجينة فانها محرومة من مطالعة امثال تلك الكتب والمجلات . اجل انها تدرس على العجائز اللاتي يزرنها وتجتمع بهن في دور جيرانها وزياراتها ضروباً من الخرافات والسخافات وانواع الاوهام والخزعبلات وصنوف المنكرات والتعلق باذيال السفاسف والرذائل مما امره معلوم وشأنه مشهور ولا هم لها يصبح بعد ذلك غير مطالبة زوجها

بانواع الملابس والحلى وعندها سيان ان كان مستطيعاً لابتياع ما تتمناه ام لا فتغدو عالة على اكتافه تنفره من القدوم الى البيت الذي تصوره له بانه محط رحال الشقاء ومركز الخسارة وجالب التعاسة الى غير ذلك من الشؤون التي تكون في اغلب الاحيان مدعاة الى تقويض اركان السلام العائلي وثل عرش المحبة الزوجية وهنالك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى التي تجر وراءها الطلاق والفراق واشغال المحاكم الشرعية بقضايا النفقات الخ الخ . . .

اننا لا نقصد فيما كتبناه ان يكون تعليم الفتاة كتعليم الفتيان كلا ثم كلا بل ما نريده أن تتعلم القراءة المبنيه على اساس ديني حتى تشب وقلبها مفعم بمعرفه الشرائع الالهية التي تقيها من شر الوقوع في حبائل الفساد وتساعدها تلك المعرفه بالقراءة على مطالعة كتب الآداب .

ان الدين ايها الناس ينهى عن الفحشاء والمنكر وهو أعظم زاجر للمرأة عن ارتكاب المنكرات

ولا نزاع فان التربية الدينية هي اكبر العوامل في تغيير الاخلاق

قال أحد الحكماء ان من الصعب ان يتحول الانسان عن تربيته الاولى كما ان الصبغة الاولى التي يقبلها الصوف الابيض لا تزول عنه بصبغة اخرى

وقال سليمان الحكيم أدب الولد في طريق متى شاخ لا يحيد عنه وجاء في كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين ضمن بيان طويل لمدرسة من أشهر مدارس انكلترا . واليك ما جاء في الكراسة مختصاً بالدين «للدين شأن خطير في الحياة . فيجب ان تكون ممزوجة به . غير اننا لا نعلمه التلامذة كأنه جزء منها بل باعتباره كلاً منتظماً ينتشر في الذات كلها وان اختلفت المذاهب وتشعبت الطرق . فيجتمعون ربع ساعة في الصباح ومثلها في المساء ليحتفلوا بالدين ويتوجهوا الى ربهم باشارات ظاهرة » فبنات اليوم ربات رجال الغد وان كن لا يزلن كاعشاب خضراء وازهار نضراء الا انهن سينمون ويكبرن ويصرن كأشجار كبيرة تمتلي بالاثمار فاذا لم نهتم بهن منذ اليوم ونزرع في نفوسهن فضائل الدين حتى يملأ قلوبهن منذ صغرهن ولا شك انهن متى تعلمن الدين وظهرت عليهن علامات التقوى والورع

فيكن بركة لاهلهن وازواجهن

وليس مرادنا بالدين ديناً خاصا بل مرادنا به ذلك العهد القوي الذي ترتبط به ارواح الشعب وتتعاهد عليه نفوس أئمته أيا كانوا ما داموا زعماء مسيطرين فكل عهد يسمى دينا يجب احترامه والاحتفاظ به خصوصاً في نفس المرأة فانها أحوج من سواها الى قيود الفضيلة المشروعة واخلاق التربية الملية والعادات القوميـة والنشأة الخاصة بعشيرتها وذويها وكل شعب افرط في تقاليد دينه وتفوق على قواعد مذهبه ادرك محاق بدر سعده وأفول نجم حياته وانقراض دولته وزوال ملكه

وهنا يجمل بنا ان نورد للقراء عظات من التاريخ تحكي امثالا تضرب فتوجع الذين لهم قلوب تشعر وعقول تعجب:
ولما كانت دول الانسان التي دالت في هذا الكون لها من مراتب الحياة ومراقي التقدم الملائم لوسطها راضيا ان تكون امثالنا المضروبة مرتبطة بها اي الدول اذ من المعلوم ان كل خلق مأثور عن عالم مبرور يدل على حسن مبادي ذلك العالم وسلامة حياته الاولى والثانية من كل مضارب الفساد واوباء

البلاء هذه دولة الرومان من بين تلك الدول قد كتب عنها كتاب العصور أسفاراً جعلوها دساتير اساسية لحياة شعوبهم لما أنسوه من عظمة تاريخها ومجد نشأتها في وسطها ولذلك نذكر للقراء علاقتها بالدين

﴿ الرومانيون والدين ﴾

اذا ألقينا رائد الطرف على صحف التاريخ وما حوته من العظات والعبر التى تحار عندها الالباب والفكر نجد أن الدولة الرومانية كانت من اعظم دول الارض سطوة واتساعاً ونشرت الوية مجدها في الشرق والغرب وتوغل قادتها في سائر الاقطار حيث فتحوا الفتوحات واخضعوا الشعوب وضربوا عليهم الجزية والباحث في أسباب وصول هذه الامة وبلوغها الى قمة الكمال حتى اعتز شأنها وارتفع مقامها بين الشعوب ثم أسباب انحلال ذلك الجسم الضخم وسيره سيراً تدريجياً في مدارج الانقراض حتى بلغ أقصى درجات الانحطاط وتدهور في مهاوى الذل والتعاسة يجد ان الذي رفعه الى ذروة المجد والفخار هو تضافر تلك الامة واعتصامها بحبال دينها وتتميمها الفرائض المطلوبة منها

في هـذه السبيل فالدين حمل رجالها على اقتحام المخاطر والاندفاع في الفتوحات واعلاء شأن الوطن وفي خلال هذه الفترة اى في ابان تمسك القوم بأمور دينهم كانوا منعكفين على الاخاء والتضافر بعيدين عن سفاسف الامور نابذين السير المعوج معتصمين بالجد والوقار فتم لهم بذلك ما يتمنونه من الرقى المادى والادبى غير انه لما اثرى ذلك الشعب وتوفرت في خزائنه الاموال مما غنموه في الحروب والفتوحات أخذوا يميلون شيئا فشيئا الى عيشة البذخ والترف وجنحوا الى البطالة وظهرت بينهم نتيجة النميمة والحسد والتباغض . عقب ذلك انغمسوا في الملذات والشهوات وادمنوا على المسكر الذي نخر أجسامهم فأخذت تنحل رويداً رويداً واخذت على اثرها قوتهم وفسدت أحكامهم سياستهم وفقلب لهم العمال في الجهات الداخليه والخارجية ظهر المجن وتوقفوا عن دفع الضرائب وخرجوا عن طاعتهم ولم يكن في الامكان محاربتهم او ارجاعهم الى الحظيرة الرومانية وهكذا سار القوم من الكمال الى الانحطاط وليس لذلك سبب غير ابتعادهم عن الدين واهمال نواميسه وشرائعه التى تفقد الانسان روح الشهامة وتميت فيه العواطف

والاحساسات الشريفه وتقوده الي مهاوى الذل والهلاك

وما لنا ولاستخراج الامثلة من الشعوب الاخرى بل لنلقي نظرة على المسلمين الذين قاموا بقوة الدين بفتوحات هائلة فانهم في صدر الاسلام كانوا محافظين على الدين وأصوله وشرائعه محافظة شديدة ولم يلتفتوا الى زخارف هذه الدنيا وما فيها من متاع باطل فنشروا رواق سلطتهم من اقاصي بلاد العرب الجرداء الى بيت المقدس ومما يؤثر عنهم ذكره وهم سائرون لفتح بيت المقدس انهم عندما بلغوا قيصرية احدى مدن الروم العظيمة وعسكروا امامها قال حاكمها في نفسه اني لا أستطيع التغلب على هؤلاء القوم الحفاة العراة لا بافسادهم واقصائهم عن الدين فأرسل اليهم عدداً كبيراً من السراري والغيد الحسان مكشوفات الصدور عاريات المعاصم والزنود متبرجات متضمخات بالطيب وذلك بقصد تسميم الجنود أنواع المأكولات فكانت الواحدة منهن تدنو من الجندي العربي وتعرض عليه سلعها وتقف امامه وجها لوجه فيعرض عنها ويدير وجهه الى جهة اخرى فتأتيه من تلك الجهة وهو يحاول عدم النظر الى وجهها أو ما ظهر من جلدها ولما يراها لا تنقطع

عن اعمها يقول لها : والله ان عدت الى مثل ذلك لشطرتك بهذا السيف شطرين وبهذه القوة وهذه الاستقامة دانت لهم البلاد وخضعت لسلطتهم العباد ومثل ذلك قل عن الدولة العباسية وأعمال بعض خلفائها المجيدة فانهم عندما كانوا محافظين على الدين آخذين بأصول الشريعة الغراء عاملين على نشر الاسلام مجتهدين لنشر رايات العلم ورفع أعلام الفضيلة فقد أزهرت مملكتهم واعتزت وطبق ذكرهم الخافقين ولكنهم لدى اختلاطهم بالفرس وادخالهم الى قصورهم العادات الفارسية وساروا في معيشتهم على نسق معيشة ملوك فارس واخلدوا الى الترف وانغمسوا في الملاذ والملاهي وتقاعدوا عن الواجبات نحو دينهم وانحرفوا عن جادة الصواب وظلموا في الرعية واستبدوا في الامر وقلدوا المناصب لغير أهلها فتضعضعت أحوال الدولة العربية وفسدت اخلاقها ونفرت من حكامها وحينئذ أخذت الدولة العربية تتدرج في الانحطاط ابتداء من اواسط المائة السادسة حتى هوت فجأة في حضيض السقوط والانحلال

وذلك على أثر هجوم القائد التتري الشهير جنكزخان

الذي مزق شمل الدولة العربيه وليس من غرضي هنا ان افصل الاسباب التي دعت لذلك بل غاية ما نقول ان ذلك كان من طرح أمور دينهم ظهريا واستبدادهم بالامر فحاق بهم ما حاق بغيرهم وبهذا جاء القرآن الكريم قال تعالى . ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾

وهكذا قل عن دولة العرب في الاندلس فانها مابلغت ذلك المجد العالى والعز الرفيع الا بمحافظتها على الدين والسير طبقا لشرائعه الالهية الآمرة بالعدل والانصاف في الرعية والناهية عن ارتكاب المنكرات واقتراف الموبقات واجتراح السيئات وبواسطة تفانيهم في التمسك بحبال الدين والمحافظة على ما جاء في كتابه المبين فتحوا البلاد الاسبانية وضربوا الجزية على امرائها وشتتوا شمل ملوكهم الذين فروا من وجوههم واعتصموا بقمم الجبال وشعاب الاودية ولما اسكرتهم نشوة تلك الانتصارات ومالت نفوسهم الى تقليد الافرنج في معيشتهم وأحوالهم واصبح ملوك العرب وامراؤها يقضون طول نهارهم وسحابة ليلهم بين النساء والغواني يصرفون

بقربهن اثمن أوقاتهم واهملوا شؤون الرعية ثم دب دبيب الفساد من الملوك والامراء الى اغنياء الامة فأوا سطها ففقرائها وكثرت بينهم الدسائس والاحن وامتد لواء المشاغبات التي جرت عليهم الوبال والمهالك فجمع ملوك الافرنج كلمتهم وشنوا عليهم الغارة فطردوهم من البلاد طرداً شنيعاً واوقعوا بالمسلمين صنوف الهوان والعذاب وكل انسان يذكر فظائع ديوان التفتيش الذى أنشأه الاسبانيون لمحاكمة المسلمين ولو اردنا ايراد الامثلة الدالة على ان الدين هو الركن الحصين للممالك والحصن المنيع الذي يقي الناس من الانغماس فى حمأة الرذائل لضاق بنا المقام لان التاريخ مملوء بالشواهد الكثيرة المعززة لما أوضحناه وبيناه

ومن ذلك ان المستر غلادستون أشهر وزراء الانكليز واسمي رجال هذا القرن في حدة الجنان وسمو المدارك كان لا يذهب الى البرلمان أو الى دواوين الحكومة الا اذا بكر في صباح كل يوم وسار الى الكنيسة وقام بما عليه من الفروض الدينية للحق سبحانه وتعالى وهذا امبراطور المانيا الحالي غليوم الثاني فانه محافظ على دينه كل المحافظة ولا ينقطع عن

الذهاب الى الكنيسة واقامة شعائر العبادة حتى انه ينضم في الكنيسة الى جوق المرتلين ويشاركهم في غناء الترانيم والتسابيح الروحية على مرأى الشعب ومسمعه

وانظر ايها القارىء الى دولة اليابان فانها لم تبلغ مبلغ العظمة الذى ارتقت اليه الا بتمسكها بحبال دينها والانصياع الى اوامر مليكها الذي تعتقد فيه ان روح الالهة متمثلة فيه ولم تفز على دولة الروس وتكسر شكيمتها الا باندفاع جنودها في ساحة الوغى واعتقادهم بان من يموت في ساحة الحرب يتوج بتيجان الشهادة وتتقلص روحه الى جسم شريف

اعرني نظرك ايها القارىء الكريم لننظر معاني اسباب جمود المسلمين وانحطاط شأن الاسلام في هذه الايام نجد انه ليس من سبب القى المسلمين في وهدة الاستكانة غير انحرافهم عن الصراط القويم ودخول الخرافات والخزعبلات على البسطاء فشوهت وجه اعتقاداتهم بالاضاليل التي تسربت الى رؤوسهم فأفسدت عقولهم وولدت في نفوسهم الاعتقادات الباطلة والخرافات الواهية والبدع التي تصور للانسان الباطل في صورة الصحيح وتزرع في فؤاده بذور الاهمال والجبن والتخوف

واني اعتقد تمام الاعتقاد بانه لا تقوم للمسلمين قائمة الا اذا قام فيها المصلحون العظام كامثال فقيد الشرق الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده وعملوا على تطهير الدين مما ادخله عليه بعض المتشمو ذين من الامور الشائنة التى اتخذوها بضاعة للارتزاق فالدين الصحيح القويم يكسو منتحله ثوبا قشيبا من الفضائل والكمالات الانسانية ويقف بالنفس البشرية عند حدها المحدود ويزجرها عن الميل الى الرذائل ابتغاء مثوبة الله العظيمة فى الآخرة وخوف عقابه الشديد في تلك الدار الباقية فالتعلق بالدين على حقيقته ممسك للمرء عن الاسترسال فيما يخالف أمره ممد له بالخيرات وأنواع السعادات واق لصاحبه من الوقوع في الشرور والمساوي مبين له مع ذلك في كل أموره مناهج الرشاد وسبل الهدي والسداد في العمل فكان في الحقيقة لا معرفة له ولا حكمة ولا سعادة ولا أدب ولا مروءة الا ولها مستمد من الدين ولا رذيلة ولا شر ولا ضر الا وله وازع في اصل الشرع وزاجر من الملة السمحاء

ويتضح مما مر ان هاته الدول التي اوردنا اخبارها لم تتدهور في مهاوي الهلاك الا عند ما تطرق الفساد الى كبار

رجالها وانتشرت عدواه فعمت الامة برمتها ولم يفض أمرها الى السداد الا بابتعادها عن التقوى وتركها الدين . وذلك عبرة لاولى الابصار ورحم الله من رأى العبرة فاعتبر

قال ابن مسكويه : « ان تحصيل السعادة على الاطلاق يكون بالحكمة وللحكمة جزآن نظاري وعملي فبالنظري يمكن تحصيل الاراء الصحيحة . بالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الافعال الجميلة وبهذين الامرين بعث الله الانبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها وهم اطباء النفوس يعالجونها من اسقام الجهالة بالادب الحق لما يأخذونهم به من الآداب الصحيحة و لاعمال النافعة ويطالبونهم بالاستسلام لهم بعد اقامة الحجة عليهم بالمعجزات فمن تبعهم ولزم محجتهم وقف على الصراط المستقيم . ومن خالفهم تردي في سواء الجحيم . واما من احب ان يعلم صحة ما دعوا اليه بالنظر الصحيح فانه يجد ذلك من جهة الحكماء » وقال شيخ الفلاسفة في هذا الزمان هربرت سبنسر فى كتابه « التربية والتعليم » مانصه . « العلم عدو الاوهام المتداولة بين الناس باسم الدين ولكنه ليس

يبدو للدين الحق الذي كثيراً ما تحاول هذه الاوهام ستره عن الابصار . نعم انه يوجد شيء من العلم المتداول يظهر عليه مناقضة الدين ومعاداته ولكن هذا ايضاً من قبيل العلم الذي اكثره وهم اذ العلم الحقيقي الذي يغوص وراء حقائق الاشياء لا يناقض الدين كما قدمنا »

وقال هكسلي الحكيم الكبير . « الدين والعلم كتوأمين متلاصقين فصلهما يودي الى موتهما . فان العلم ينمو متى كان دينياً والدين يثبت متى كان علمياً . واهم اثار الفلاسفة انتجتها افكارهم بسائق ديني في الحقيقة »

والخلاصة ان رعاية الدين تخلي افئدة اهله من الاهواء الفاسدة والمنازع المفسدة والشهوات المبددة لانوار الفضائل والمفضية بها الى الاستحالة بغياهب وظلمات يتخبط فيها اهل ذلك الدين لفرط جهلهم بمنافذ انواره ومباعث اسراره وقد ذكرنا ما آل اليه أمر الدول التي خدعتها شهواتها ففرطت في اديانها ليعتبر اولو الالباب وليعلموا ان كل ما اوردناه قليل من كثير ورذاذ من مدرار اذ لو أردنا ان نقص قصص الاولين الذين لم تتقيد قلوبهم بقيود الاديان وانغمسوا في

حماة وذائلهم لنا وسعت الصحفات بل لم يحملنا على الاطناب في هذا الباب الا ما نشاهده من عدول شبيبتنا عن مناهج الاستقامة الحاقة ومبادي التدين الذي يحول بين المرء وبين الشرور والرزايا

وكيف لا يعذرنا القراء اذا اطلنا وافضنا في العبر وتسطير العظات وضرب الامثال وذكر العبر مع اننا نكاد نذوب اسفا وتذهب نفوسنا حسرة كلما شاهدنا شباننا يتدافعون الى مساوي الفحش ومثاوي الخنا مقترفين اشنع المساوي فيذهب بعضهم الى مرقص يشاهد فيه ضروب خلاعة المرأة الفاسدة ووقاحة اخلاقها الجامدة التى لم تؤثر فيها معاول الفضيلة ولم تتصل برابط أدبي في نشأتها الاولى فسقطت في وهدة الدنايا بل تخطفتها شياطين الخطايا والرزائل فقذفت بها في أودية الفساد السحيق واننا لا نلوم المرأة الساقطة في هذه الوهدة السافلة لاننا لا ندرى تحت اي ثقل سقطت ولا ايه من ايدي الاضرار والحاجة دفعتها الى هذه المهواة البعيدة والحالة الدنيئة فهوت مرغمة مضطرة تحت عوامل الفقر او تحت حوادث الايام وكوارث الدهر التى لها ارتباط باصل

نشأتها واساس تربيتها واخلاق الرجل المهيمن عليها واثمة اللوم كله على شباننا الادباء الذين اقبلوا على هذه المفاسد المغيرة والدنايا الشائنة لا يتحسبون لما ينجم عن تطرفهم حساباً ولا يخافون فساداً ولا عقاباً كانهم لا يعترفون بدين ولا يدينون لديان فلا ترعوي نفوسهم عن موبقات الايام التي تقذفهم في حماة الاثام وهم بين خريج مدرسة عالية رضع فيها ثدى العلم وتلقى على اساتذتها دروس التهذيب والتربية وكأن المدرسة اهلته لان يكون عنواناً لفساد الاخلاق وقدوة سيئه لغيرة في اقتراف الذنوب والاغراق في الموبقات ولكننا اذا نظرنا لسبب هذا الفساد المتسرب الى الاخلاق والنفوس لا نجد سوى جهل الام والاب او بالحري التربية الاساسيه من روح الدين وفضائله المشروع . فلو كانت الحكومة حريصة على تربية شعبها وسلامة رعاياها من سيل الفساد الجارف الاخلاق الفاضلة لمزجت تربية مدارسها وتعاليم معاهد العلم بالدين حتى يشب الفتي وتنشأ الفتاة على احترام اداب الدين واخلاق الملة وعادات الشعب وقواعد اجتماعها الادبي اما والاهمال للدين سائد في كل ادوار التعليم فلا يرجي فلاح

ولا يؤمل نجاح بل لا بد من مصير كمصير تلك الشعوب التي فرطت في دينها فأصيبت برزايا الانحلال والزوال

رايت في وقائع بسمارك التي نشرت بعد موته بقلم كاتم سراره مسيو بوش كلاماً جاء به البرنس وهو على مائدة الطعام مع جلسائه يتعلق بالدين فاستحسنت اثباته ليطلع عليه من لم يعن بقراءة هذا الكتاب من شباننا الذين يعدون النسبة الى دينهم سبة والظهور بالمحافظة عليه معرة وليعلموا ان الايمان بالله وبالوحي الالهي الى انبيائه ليس نقصا في الفكر ولا ضلة عن صميم العلم ولا عيبا في الرئاسة ولا ضعفا في السياسه

«جلس البرنس بسمرك على مائده الطعام فراي بقعة من الدهن على غطا المائدة فقال لاصحابه «كما تنتشر هذه البقعة في النسيج شيئا فشيئا كذلك ينفذ الشعور باستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الوطن في اعماق قلوب الشعب ولو لم يكن هناك أمل في الاجر والمكافأة . فذلك لما استكن في الضمائر من بقايا الايمان . ذلك لما يشعر به كل احد من ان واحدا مهيمنا يراه وهو يجالد ويجاهد ويموت وان لم يكن قائده يراه » فقال بعض المرتابين « أتظن سعادتكم ان العساكر

يلاحظون في اعمالهم تلك الملاحظة » فأجابه البرنس «وليس هذا من قبيل الملاحظات وانما هو شعور وتوجدان هو بوادر تسبق الفكر . هو ميل في النفس وهوى فيها كانه غريزة لها . ولو انهم لاحظو لفقدوا ذلك الميل واضلوا ذلك الوجدان

وقال ايضاً « لو نقضت عقيدتي بديني لم اخدم بعد ذلك سلطاني ساعة من زمان . اذا لم اضع ثقتي في الله لم اضعها في سيد من اهل الارض قاطبة . لكن انظروا الي تجدوني قد ملكت من موارد الرزق ما يكفيني وارتقيت من المناصب مالا مطمع بعده فلماذا أشتغل ولم اجهد نفسي في العمل ولم اعرضها للهموم والالآم لا يبعثني على شيء من هذا الاشعوري بانني فى جميع ذلك اعمل عملي لوجه الله . ولو لم يكن لي ايمان بالعناية الالهية التي قضت بأن يكون لهذه الامة الالمانية شأن كبير واثر في الخير عظيم لطرحت لساعتي ماحملته من اثقال وظائف الحكومة ، ماذا أقول بل لولا ذلك الايمان لما قبلت شيئاً من هذه الوظائف لان الرتب والالقاب لا قيمة لها في نظري لولا يقيني بحياة بعد الموت لما كنت

من حزب الملكية لو لم يكن هذا اليقين لكنت جمهورياً .
من هذا يظهر ان ايماني قد بلغ من القوة اعلاها حتى شماني
بقوته على ان اكون ملكيا اسلبوني هذا الايمان تسلبوني محبتي
لوطني. اعلموا انى لو لم اكن مسيحياً مخلصا لم يكن وزير
كبير مثلي يدير امر الاتحاد الالماني . لو لم اكن مخلصا في
ديني اوليت ظهري جميع الحاشية . ما أعظم مسرتي بهجر
الوظائف لو تعلمون . انى احب المعيشة فى القري والحقول
أحب الآجام ومناظر الخليقة . انزعوا مني هذه الرابطة التي
تصلني بالله تجدوني من الغد رجلا يأخذ اهبته للسفر الي
(وارزين) ليشتغل بحراثة ارضه وتنمية غرسه . ان لم اكن
خاضعا لامر الهي فلم اضع نفسي تحت طاعة هذه العائلة المالكة
مع انها تتصل بأصل ليس بالاعلى ولا بالانبل من الاصل
الذي تتصل به عشيرتي »

هذا كلام بسمرك وهو يدلنا على ان هذا الرجل العظيم
كان يعتقد ان عظائم أعماله انما كانت من مظاهر ايمانه وان
الاعتقاد بالله والتصديق باليوم الآخر هما الجناحان اللذان
طار بهما الى ما لم يدركه فيه متأخر

ذكرنا ما كتبه ذلك النابغة العظيم الذى لا يجهل مقامه في السياسة والعلم احد في الشرق والغرب فعسى ان يكون شباننا الذين لاذوا الى التعليم في ديار الغرب على هدى من حسن القوة بكبار الساسة وعظماء الرياسة الذين يعتقدون ان الدين أساس المجد الحيوي وركن الوجود القومي وان الايمان بالله روح من ارواح الخير العام التي تبث في شرايين الشعب فتحركه الى المعالى بثقة وثبات ورشد واعتبار فاذا كان اولئك العظماء الكبار قد دونوا في أسفار حياتهم تلك العظات النافعة فجدير بشباننا الراقين ان يسلكوا سبيل المؤمنين من أولئك المتدينين الذين ذكرنا درر ارائهم في لندن فكانوا مصابيح لقلوب المهتدين وكنجوم تنشر اضواء الحياة العقلية في ربوع نفوس الشعوب التي تحتاج الى تربية عالية وارتقاء سام ونحن أول تلك الشعوب الفقيرة الى مزايا الثقة بالله وفضائل الاعتماد على شرائع السماء الموقرة فلعل شباننا يرعوون عن الغي وينزعون الى الهدى ويحاربون رذائل البغي والله يهدي الى طريق الحق والفضيلة والشرف

﴿ نظرة اجمالية ﴾

(في تربية البنات)

ظهر مما أوردناه من أقوال الفلاسفة وعظام الرجال وما كتبناه في موضوع تاثير المرأة في الارتقاء انه من الحتم تعليم الفتيات اذ لا تتقدم البلاد ولا تسير في مضمار الحضارة والمدنيــة الا بتعليم البنات اللائي اذا كن مستنيرات بنبراس العلم الساطع ومثقفات طبقا للاوامر الالهية والشرائع الدينية يستطعن تقويم اولادهن وغرس بذور الفضائل في قلوبهــم التي تنمو مع نموهم وتلازمهم مــن المهد الى اللحد وقد راينا بعد كل ما ذكرناه من الاقوال الهامة ان نلقي نظرة على حالة الفتاة المسلمة في هذه الايام ونتطرق الى ذكر الفساد الذي طرأ على جسم كيان المراة فالقاها في مهاوي البؤس والشقاء فجعلها آلة للملاذ الحيوانية ووسيلة فعالة لفساد الهيئة الاجتماعية الاسلامية تجر الشقاء على مجموع الأمة حتي صيرتها في مثل ماهي عليه الآن من الاستكانة والجمود وفساد التربية وتبذير

الاموال والتعلق باذيال الخزعبلات والخرافات ثم نعلق في خلال كلامنا مايعن لنا من الانتقادات المبنية على المشاهد المحسوسة والحوادث المتعددة التى تقع بين ظهرانينا كل يوم ويعلم الله اننا لانقصد فيما نكتبه جرح الاحساسات واثارة العواطف بل يدفعنا الى مانخطه الغيرة الوطنية فقد تجمعت في الفكر أقوال كثيرة مضطربة تطارد بعضها بعضاً فلم أجد بدا من ابرازها علها تجد أذانا مصغيه وقلوبا واعية وعله ينجم عنها فائدة عظمى للبلاد ذلك ما نتوخاه والله شهيد على ما نقول :

﴿ تعليم الفتاة ﴾

اظهرنا فيما تقدم ان تعليم الفتيات لا يأتي بالفائدة المطلوبة الا اذا كان مبنياً على أساس ديني وقد كان هذا الامر جاريا في صدر الاسلام وفي عهد الخلافتين العباسية والاموية وفي الاندلس ايضا فقد اشتهرت في هذه الخلافات نساء كثيرات كن يلقين لدروس في المساجد و يعلمن البنات أصول الدين والفقه والشريعة وقد نبغ منهن عدد كبير افدن

الاسلام فائدة كبرى وبثن في نفوس ابنائه روحاً شريفة
وصفات سامية تمكنوا بواسطتها من فتح البلاد ومد رواق
سلطتهم فى الشرق والغرب وقد اهمل المسلمون رويداً رويداً
تعليم المرأة حتي وصل الى ما نراه اليوم عليه ولم يبق بين
الشعوب الاسلاميه في عصرنا الحاضر أمة تعتني بتربية الفتاة
غير المسلمين القاطنين في ارجاء الامبراطورية الروسية والدولة
الهندية فانهم على جهلهم اللغة العربية يعتنون اشد الاعتناء بتحفيظ
البنات القرآن الكريم وتدريسهن مبادئ الشرائع الاسلامية
وتدريبهن على اتمام فروضها ولهم في ذلك عادات لطيفة
مستحسنة رأينا من باب اتمام الفائدة ان نذكرها على سبيل
الايجاز وذلك انهم ينشؤن مدارس البنات بجوار المساجد
ويتعاطى التدريس فيها بعض السيدات الفاضلات من المسلمات
أو بعض الائمة المشهود لهم بطيب الاحدوثة وحسن السمعة
واذا اتمت احد الفتيات حفظ القرآن يقيمون لها احتفالاً
كبيراً وذلك ان والد الفتاة يوزع رقاع الدعوة على أقاربه
وأهله واعيان البلد وسراتها يدعوهم فيه الى الحضور للمسجد
في يوم كذا للاحتفال بامتحان ابنته فاذا جاء اليوم المعين

يتوافد المدعوون فاذا ما تم عقد اجتماعهم يدعو امام المسجد الفتاة فتخرج بملابس فاخرة وقد اسدلت على وجهها خماراً ولو كانت دون سن الادراك فتقف على مرتفع وبعد ان يتلو الامام بعض آي القرآن الكريم يقترح على الفتاة قراءة سورة فتتلوها مجودة بصوت رخيم يأخذ بمجامع القلوب ثم يقترح عليها من شاء من المجتمعين قراءة سورة غيرها فتتلو على هذه الصورة عدة سور فاذا اجادت في الالقاء واسفر امتحانها عن نجاح باهر ينهض الامام ويدنو منها ويعممها بعمامة خضراء واذ ذاك يتقدم الحاضرون الى والد الفتاة ويقدم له كل واحد فروض التبريك بما احرزته ابنته من النجاح الباهر في حفظ كتاب الله العزيز ثم يقدم اكثر المدعوين الهدايا المختلفة الى الفتاة ويسيرون من الجامع الى بيت والدها حيث يقضون نهارهم بتشنيف الاسماع بآي القرآن الحكيم وقد يولم لهم صاحب البيت وليمة فاخرة ويكون ذلك الامر مدعاة الى شهرة الفتاة وحاثاً عظيماً على الاقتداء بها في الاجتهاد والاقبال على حفظ كتاب الله وتعلم الاصول الدينية الاسلامية والحق يقال

فانها عادة حسنة يحمد عليها المسلمون في روسيا ولذلك تري المسلمين في روسيا اكثر الامم الاسلامية تدينًا وأعظمهم آدابا واشدهم ورعا وتقوي ولديهم مدارس عديدة خاصة بتعلم البنات مما لا وجود له في مصر وهو امر يدعو الى شدة الاسف وترداد الحسرات واللهف

واننا لو القينا نظرة اليوم على حالة المرأة المسلمة في مصر لوقفنا وقفة المندهش الحائر وهمت منا المدامع واصطكت المسامع وانحنت الاضالع واحاق بنا الفزع واستولى علينا الجزع . فاننا اهملنا امر المرأة اهمالا يقصر ابلغ الكتاب عن وصفه وحططنا من شأنها لدرجة اننا لا نوجه اليها اقل التفات والانكى والاغرب من كل ذلك ان البعض منا يزعم ان المرأة من سقط المتاع لا يجوز تعليمها ولا تهذيبها وافضل لها ان تبقى ترسف في اغلال الجهل والخمول وهو حكم ظالم جائر خالف فيه قائلوه الشريعة الاسلامية التي شرفت منزلة المرأة واعلت مقامها وخولتها حقوقًا لا تتمتع بها المرأة الغربية اللهم اذا سرنا عليها واتممناها فالشريعة الغراء ساوت المرأة بالرجل والاحاديث الشريفة نصت بوجوب تعليم بالمرأة ولكن انى لنا

ان ندرك تلك الحقائق الباهرة وقد اهملنا نحن انفسنا الدين وادابه وتهنا في سباسب الضلال وتعلقنا باذيال الالحاد والخروج عن جادة الاستقامة والاعتصام بحبال الفساد ولو انصفنا وادركنا ما نحن فيه من الجمود والاستكانة لاقبلنا على الدين اقبالا حقيقيا واذ ذاك نستطيع ادراك ما نحن فيه من الخطأ المبين والضلال المشين فنقبل على تعليم البنات تعليما دينيا يقودهن الي الصراط القويم ويسدد خطواتهن ويقوم سيرتهن ويبرز لنا منهن كواكب ساطعة تنير جوانب بيوتنا وتخرج لنا رجالاً أفاضل يقدمون للوطن اثمارا شهية وينمين اشجاراً دانية القطوف فالمدرسة هي المكان المبارك والمعهد المقدس الذى يحتضن الفتاة ويغذيها بلبان التربية منذ نعومة اظفارها وينير أبصارها بأنوار المعارف الالهية والآداب الانسانية الحقيقية فتخرج منها مهذبة مثقفة حتى اذا شبت واصبحت زوجة تعرف مالها وما عليها من الحقوق والواجبات نحو زوجها واولادها فالمدارس من البركات العظمي التى نالها الانسان من لدن الله سبحانه وتعالى

وقد قال بهذا الشأن فيكتور هيجو الكاتب الطائر

الصيت

« من يفتح مدرسة يقفل سجناً » وقال البرنس بسمارك ذلك الرجل العصامي

« لا تتقــدم البلاد الا اذا عمتها المدارس ولا تفرغ السجون الا اذا امتلأت المدارس بالطلبة ولا يتأتي ذلك الا اذا جعل التعليم في البلاد اجبارياً »

ومما لا يختلف فيه اثنان هو ان كل امــة تنظم قواعد تربيتها حسبما يوافقها وعلى مقتضى عوائدها واخلاقها وطبقا لشرائع دينها ليشب الابناء والبنات على مبدائها التربية نفسها تؤثر على مجموع الامة وتكون الرجال وتؤثر على الهيئة الاجتماعية ومن الحقائق المفرده بانه ما يكون الفرد تكون الامة وليس من يرتاب في صحة هذه القواعد الاولية . فاذا وضعنا القواعد والمبادىء التي نريد ان تكون عليها الامة في المستقبل ودربنا أولادنا وربيناهم عليها في بيوتنا أولا وفي مدارسنا ثانيا فسنجد الامة في المستقبل كما اردنا

فهذه نفوس بناتنا اللائي يجب علينا ان نعلق عليهن كل حبال أمالنا لانهن امهات المستقبل وملقى على عاتقهن واجب

التربية الاولى للاولاد هل نتركهن ياترى ينشأن على خصال وعادات واموراً لا توافق امتنا وديننا .. ام يجب علينا ان ننشيء المدارس لتتكفل بتربيتهن التربية اللازمة والغرض الذي أرمي اليه هو توجيه الافكار الى وجوب تعليم الدين في المدارس كما ذكرت آنفا وجعله اول اساس يقوم عليه بناء التربية وانه ليس من وقت انسب لغرس هذه البذور الطاهرة في نفوس البنات الا في زمن الطفولية لاننا اذا نظرنا الى الدين وجدناه منبع الكمالات والقائد الى الحكمة والاستقامة والداعي الى الخير والمهذب للاخلاق والمرقي للفضائل واذا امعن الانسان الفكرة الوقادة تبين له بان الدين غير مقتصر فقط على أيصال الانسان الى سعادة الاخرة بل له العلاقة الكبرى في هذه الحياة الدنيا فانه ان وجدت اسباب داعية للسعادة والسلام والهدو والاطمئنان في هذه الحياة يكون الدين في مقدمتها وكفى به انه اساس الاستقامة والصدق والاخلاص والنزاهة والحق وهي من اكبر أركان ودواعي النجاح والارتقاء في العالم فهو أي الدين رباط الألفة واساس للعدل ولجام للشر وقائد للخير وهو ولا شك يمثل لكل طفل صورة

الكمال ويرسم فيه أجمل الاخلاق ويخلق في روحه اسمى الصفات الادبية والشعائر الدينية ويجعل وجهته في كل اعماله نحو التقى وصالح الاعمال هذا ولو اردنا تمداد ما للدين من الفضائل لا حتجنا الى مجلدات كبيرة وكفاه انه الواسطة بين الخالق والعبد والسائر على قواعده يستطيع ان ينال السعادة في الدارين

واذا علمنا ذلك بضرورة جعله الاساس الاول الذى يجب ان تنشأ عليه تربية البنات وانه بدون تلك التربيه تستمر على ما نحن عليه من الجهل المطلق والفساد المطبق ونكون كالساعي الى حتفه بظلفه أو الجادع مارن انفه بكفه واذن يتحتم علينا اذا اردنا النهوض بالامه اوشئنا السير في مضمار الحياة الحيه ان نكثر من دور تعليم البنات ونقدس تلك الدور تقديسا ونحول بينها وبين فاسدى الاخلاق الذين يجعلونها مأوى للتمتع بالشهوات والمغازلة والتحبب والوصول الى النساء من ادنى الطرق. نقول ذلك والاعضاء منا ترجف والاعصاب تهتز عند ما نتذكر ان بعض الناس انشأوا في مصر معاهد لتربية البنات وجعلوها احبولة لايقاع المعلمات والعذارى في اشراك الغرام

وافساد اخلاقهن وخير لهؤلاء الناس ان يعلق في اعناقهم حجر الرحى ويطرحون في اعماق البحار لتتخلص البلاد مما يجرونه عليها من انواع الفساد وصنوف الرذائل التي لا يتصورها عاقل ولا تخطر على بال ولله در من قال

يقولون الزمان به فساد　　وهم فسدوا وما فسد الزمان

لا يذهب عن نهى الملمين بالتاريخ المصري ان هذه البلاد كانت قبل تولية المغفور له محمد على باشا ميدانا للفساد والظلم ومضماراً للرزايا والدمار خصوصاً على عهد المماليك والسناجق الذين كانوا يجهلون الاسلام وهم مسلمون ولا يعرفون منه حكماً ولا ادباً ولا خلقاً ولذلك شذت طباعهم ورجعت بهم الى الحيوانية الوحشية فمزقوا بجهلهم جلابيت مجد الدين وهدموا دوائره وجعلوا الاهلين غلمانا لهم وعبيداً لا يملكون الا ما يباح لهم من سنجق أو خادم له ولما بلغت مفاسدهم وشرورهم اقصى مراتبها وادني دركاتها اراد الله بهذه البلاد خيراً فقلص ظل استبداد اولئك المماليك اذ اتاح لمصر واليها محمد على باشا الذي قبر المظالم في قبورها ونشر السلام وتمتعت هذه البلاد

براحة وهدو وسكينة غبطها عليها الاوربيون فأخذوا يفدون زرافات ووحداناً ثم لما سكنت فتن الملك وهدأ ثائر السياسة انبعثت الهمم من مراقدها الى العلم حيث اسس النزلاء الغربيون مدارس للتعليم فظن أغنياء القطر انها تفيد بناتهم فدفعوا بهن الى تلك المدارس فنشأن على ما عليه فتاة الغرب في أخلاقها فكان هذا سر فساد تربية الفتاة المصرية وعلة شذوذ خصالها عن المشروع في دين ذويها اذ لا تسمع الفتاة المسلمة التى يدفع بها الي مدارس الاجانب ولا ترى غير ما يناقض دينها ويباين النشأة الاسلامية المعروفة في بلاد الاسلام

ويجمل بنا أن نذكر طرفا مما كتبه العلامة المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في شأن التعليم

((١) والمسلمون لا يستنكفون من ارسال اولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعليمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم او تحصيلهم بعض اللغات الاوربية التي يحسبونها ضرورية لسعادتهم في مستقبل حياتهم . ولم يختص هذا

نقلا عن مجلة المنار الغراء

التساهل المحزن بالعامة والجهال بل تعدى الى المعروفين بالتعصب في دينهم بل لبعض ذوي المناصب الدينية الاسلامية واولئك الضعفاء اولاد المسلمين يدخلون الى تلك المدارس الاجنبية في سن السذاجة وغرارة الصبا وابان الحداثه ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامي ولا يرون الا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي بل لا يطرق اسماعهم الا ما يزري على دينهم وعقائد آبائهم ويعيب عليهم التمسك بعرى الطاعة لاوليائهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لانه من اساتذتهم القوم على تربيتهم باذن آبائهم ولا نطيل القول فيما يتلقونه من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة ، فذلك امر اعرف من ان يبين . فلا تنقضي سنو تعليمهم الا وقد خوت قلوبهم من كل عقد اسلامي واصبحوا كفاراً تحت حجاب اسم الاسلام ولا يقف الامر عند ذلك بل تعقد قلوبهم على محبة الاجانب وتنجذب اهواؤهم الى مجاراتهم ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم ينفثون ما تدنست به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصيرون بذلك وبالا على الامه ، ورزية على الدولة ، نعوذ بالله . ولو فقه المسلمون لبذلوا من اموالهم ما يجيدون به تربية ابنائهم

مع استبقائهم مسلمين في العقيدة ، عثمانيين في النزعة ؛ هذا ما جلبه الجهل على الامة الاسلامية وان غائلته لمن اشد الغوائل

اما المكاتب والمدارس الاسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني جملة واما مشتملة على شيء قليل منه لا يتجاوز احكام العبادات على وجه مختصر وطريق صوري لا يعدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا ممن قرؤا العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالا بعقائده منكبين على الشهوات وسفاسف الملذات لا يخشون الله في سر ولا جهر ولا يراعون له حكما في خير ولا شر وانحط بهم ذلك الى الكلَب في الكسب والانصباب على طلب التوسعة في العيش لا يلاحظون فيه حلالا او حراما ولا طيبا او خبيثاً فاذا دعوا الى الدفاع عن الملة والدولة . ركنوا الى الراحة ومالوا الى الخيانة وطلبوا لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فان ضعف العقيده والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف طبقاتهم الا من عصم الله وهم قليلون

،ولهذا تراهم يفرون من الخدمة العسكرية ويطلبون للتخلص منها اية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم ونرى غيرهم من الامم يتسابقون الى الانتظام في سلك جنديتهم مع انها غير معروفة في دينهم بل مضادة لصريح نصوصه ونرى المسلمين يبخلون بأموالهم اذا دعت الاحوال الى مساعدة الدولة والانفاق على مصالح الامة ولا يبخلون بذلك على شهواتهم بعكس ما نرى في سائر الامم . هكذا انطفأ من المسلمين مصباح العقل فلا يعرفون لهم رابطة يرتبطون بها ولا يهتدون الى جامعة يلجأون اليها وتقطع ما بينهم (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولا حول ولا قوة الا بالله»

هذا وان العاقل الرشيد يدرك من أقوال العلامة المفتي الذي ذكرناه انما انه يرمي به الى تعليم الفتيان والفتيات لانه حكيم خبر أحوال المسلمين ومارس اخلاقهم وعرف منها ما يمكن اصلاحه بالعظة وما يتعذر اصلاحه الا بالتقريع المؤلم ولذلك كان كلامه بعد موته حجة على قومه الذين فرطوا في فضائل التعليم الصحيح ونقضوا مواثيق الحكمة في تربية ناشئتهم

فكانوا امثولة في الفساد وعدم الاهتمام بمزايا الحجاب الذي هو اعظم سياج لحفظ شرف الفتاة فتأصلت تلك العادات في نفوسهن ونمت مع نموهن فاذا كبرن واصبحن زوجات أخذن يؤثرن على افكار ازواجهن ليصطحبوهن في اصطيافهم في اوربا وقد اخذ هذا التأثير مأخذه في هذه الايام فاننا نرى في صيف كل عام فريق الاغنياء اذا سافر الي اوربا يصطحب معه زوجته وبناته حتي اذا بلغوا اوربا نبذن الحجاب وجارين الغربيين في ارتياد الملاهي وحضور الليالي الراقصة وربما رقصن مع شبان الغرب واذا انقضي زمن الصيف وعادت العائلة بسلامتها الى مصر فلا تطيق النساء (بعد ما تمتعن بالحرية المطلقة) الجلوس في زوايا البيوت فيستعملن الوسائل العديدة للخروج من المنازل والذهاب الي المتنزهات ولا سيما ارباض الجزيرة ويبذلن الوسع للتعارف مع الشبان ولا يخفى ما في ذلك من الاضرار الجسيمة وقد زاد بهن الغرور والميل الى الخروج ان بعضهن يرتدين أزياء المساخر ويقصدون بها قهاوي الرقص والمجتمعات العامة وفوق هذا وذاك فان الاجانب في مدارسهم

يعلمون الفتيات طرق العبادة والصلاة وفي غالب الاحيان يكون في المدرسة كنيسة فيدخلنها كل يوم صباح مساء وتضطر البنات المسلمات الى الاشتراك معهن ولكنهن لا يجنين من وراء ذلك نفعا غير فساد المعتقد وبوجه الاجمال فان أغنياءنا يرتكبون في نسق تعليم بناتهم جريمة لا تغتفر تعود عليهم بالوبال وانواع النكال وسيأتيهم يوم يدركون فيه هذا الخطأ الفاضح والزلل الواضح فيندمون ولات ساعة مندم

واما فريق المتوسطين فالبعض منهم اهملوا تعليم البنات دفعة واحدة ولم يعيروه جانب الالتفات والبعض ممن ادرك هذا الخطأ سار في تعليم بناته على طريقة الاغنياء فأرسل بناته الي مدارس الاجانب وقد عددنا اضرارها حيث يتعلمن بها لغة اجنبية ولا يدرسن فيها لغة بلادهن العربية الا درساً اضافياً لا يفيدهن شيئاً وقد قرأنا مقالا بهذا الشأن للمرحوم الاستاذ السيد عبد الله نديم فاحببنا ايراد شيء منه اتماما للفائدة وهاهو

مدرسة البنات

زينب ونفيسه

« ز . انت رحت للمعلمه النهاردة . ن. انا في المدرسة . ز. تتعلمي ايه في المدرسة يا اختي . ن. اتعلم القراء والكتابة والفرنساري والخياطة والبيانو وعندنا ناس يتعلموا الانكليزي ز . طيب الكتابة والقراءة قلنا آهي تنفع تقعدي يوم تقرى في المصحف الشريف والا في كتاب تعرفي منه امور دينك والفرنساوي والانكليزي تعملي به ايه هو انت رايحة تتجوزي فرنسيوي والانكليزي . ن. لأدلوقت كل أولاد الناس الكبار يتعلموا الفرنساوي والا الانكليزي بلكي الواحدة تتجوز واحد من اللي يعرفوا اللغه تبقى تتكلم واياه ز. هو يختي اللى رايحة تتجوزيه موش ابن عرب والا ابن ترك أبوه . ز . طيب اتعلمي انت العربي والا التركي اللي بيكلمون به أهل بلادنا واما الراجل اللى رايح يفوت لغته ويكلم حريمه بالفرنساوي والا بالانكليزي موهو ابن عرب

والا ابن ترك دايبقي قليل الذوق هوا عارف ان إحنا يابنات الشرق فرنساوية والانكليز ، لما يكلمنا بلغتهم • ن • بقى على كدا انت ماتعرفيش جري ايه في الدنيا دلوقت بعض بنات الشام بيتعلموا في المدارس اللغات البرانية وازواجهم ر خرين ز • طيب دول لبسوا آلا افرنكة وطلعوا فى السكة زي ستات الافرنج واحنا يللى مانطلع من بيوتنا الامتغطيين ولا نجتمع بالرجالة الغرب ولا نروح تياترو ولا بلو احنا واخواتنا المحجوبين في الشام تتعلم اللغات دي ليه .ن• آهو من ضمن التمدن الجديد ان الواحدة تتعلم لغة افرنجية • ز •: دا بقي يختي الرجالة مقصودهم مقصود تاني هي الواحدة منا رايحه تفتح لها دكان والا رايحه تقابل القناصل والا رايحه تقعد ويا الرجال في المجالس دا كلام فارغ بدل ما يعلموا الواحده لغة افرنجيه يعلموها لغتها وامور دينها ويعرفوها تربية الاولاد وترتيب البيت موش يعلموها الكلام الفارغ والامور اللى ماتنفعاش اذا كانت الواحده تعرف بالفرنساوي وجوزها مايعرفش بقي تروح تدور على واحد يعرف فرنساوي لاجل ماتكلمه احسن تنسي اللغة والنبي ان الناس اليوم منيش عارفه جرى

لهم ايه اهم كل مايشوفوا الغريب يعمل حاجة يعملوا زيها من غير ما يفتكروا فيها اياك بدهم يبقوا افرنج خالص ويفضوها سيره طيب الرجالة بيتعلموا اللغات قلنا انهم معذورين على شان يباشروا الافرنج ويعرفوا كلامهم ويقروا كتبهم يعرفوا فيها ايه واحنا يا نسوان لا احنا رايحين نخطب في مجلس ولا نكتب جرنال ولا نعمل مترجمين ولا نسافر بلاد برا ولادي ولادي يبقي تعليمنا الفرنساوي وغيره ثمرته ايه دى كلها أمور تغم ٠

ن ٠ أهو ستات الملوك بيعرفوا لغات كثير بقى على كده تعليمهم في غير محله ٠ ز ٠ دول معذورين إكمن بيدخل عليهم نسوان الملوك والقناصل يسلموا عليهم ويعيدوا عليهم ملزومين يتعلموا لغاتهم لاجل يكلموهم من غير ترجمان فدول تعليمهم في محله لانه كمال لهم واما احنا يلي لا لدي ولا لدى نتعلم اللغات دي ليه فضيها بلاهم على القلب . ن ٠ بقى دلوقت تعايبي على تعليم البيانو زى ما عيبت على تعليم لغات الافرنج . ز ٠ البيانو إيه دا كمان يا أختي. ن ٠ (وصفته) . ز ٠ (فنذت قولها) ن. دا كل نسوان الافرنج كده واحنا بنقلدهم في التمدن ٠ ز ٠ يا اختي ايش جاب لجاب احنا بشقه ونسوان

الافرنج بشقه دول بيقعدوا النسوان ويا الرجاله حتى الواحد
منهم اذا قعد في مجلس والست بتاعته وياه وسكتوا عنها
الجدعان ولا كلموهاشي يزعل ويقول عليهم متوحشين واحنا
اذا كان واحد عربي والا تركي والا شركسي والا ارنؤطي
والا اى واحد من بلادنا يشوف واحد يكلم امراته يمكن يموته
ويموتها والاقدمين قالوا المره زي الحمامه متي ريشت طارت يعني
الواحده متي اطلعت لغير زوجها والا طلعت من باب ادارها
لا بقت نافعه طار ولا طبله الا تفضل من الدار دي للدار
دي خالتي عندكم ما جتشي . هما الرجال انهبلوا يا اختي والا
جري لهم ايه اللى ما حد بيفتكر في الكلام ده . ن .
ودلوقت تعيبي الخياطة والتطريز وتقولي الواحده يمكن تتعب
في عمل المحرمه شهر وهي تشتريها جاهزه بقرشين . على ايه
تعبها بقي . ز. شوفي ياست نفيسه الخياطه لازمه لنا يانسوان
الواحده عليها تفصل هدومها وهدوم زوجها واولادها
وتخيطهم واذا تعلمت شغل المنسج والمخيش تقعد تتسلي في
شغلها تعمل لزوجها طاقية لطيفه كيس مخده لطيف سجاده
صلاه شبشب كيس فلوس كرنيش للسرير حزام لها قيص

نوم ظريف اويه للمناديل كرديلة حلوه غطا سفره غطا قهوة
يعني اذا تعلمت الحاجه دي تقعد طول النهار ست بيتها ان
كان عندها خدامين آهي ست بيتها تسلي نفسها وان كانت
وحدانيه تعمل شغل بيتها ولما تخلص بدل قعدتها في الشباك
تشوف الحلو والوحش والامور الفارغه تعمل لها حاجه زى
ما بيعملوا أولاد الناس الطيبين ياما بنات سيفوا نفسهم من
غرزتهم ودخلوا للرجال بشيء متلتل ويا ما نسوان مساعده
رجالتها بغرزتها لما تلاقي جوزها ماشي بين الرجال مستور
واشيته معدن فانا أقول لك اشطري في الخياطه وافتحي عينك
طيب فانه لا ينفعك الا غرزتك بيدك . ن . والنبي ياست زكيه
وليه طيبه وقلبك عليه انا رايحه أقول لابويه انا ياابابا رايحه
اتعلم القراءة والخياطه وشغل اليد وابطل تعليم الفرنساوي
والبيانو واقول له على اللى قلتيه لي كله اياك يرجع لو عقلة
ويقول لى طيب يابنتي . احنا يا نسوان ان ما كانشي عند
الواحدة مناديل لاهاذمة ولا عقل يحوشها عن الامور البطالة
شوفي ستي زينب اللي نعرف ماقاله الله ورسوله ازاي ماهي
قاعدة ذى الوليه اللى يزوروها الناس عمرهاش تطلع لغير

زوجها والا تطل من شباك والا تطلع من باب دارها من غير اذن زوجها والا تفرط في حاجة البيت والا تكلم راجل غريب والا تخالف جوزها فى حاجة والا تطلب منه اللي مايقدرش عليه والا تالتلو يوم جبت لي ايه والا كدا والا ماشيه زي الالف وتلاقي يختي هدومها نضيفه وفرشها نضيف وحاجتها كلها نضيفه وبيتها بيشف ويرف تشربي الميه من على البلاط بتاعها . ودا كله من تربيتها وتعليمها الدين والواجب عليها وهيا صغار وشوفي ام نظمي اللي طلعت على هوى نفسها ازاى ماخسرت جوزها وضيعت ماهيته فى الريح كل ساعه داخله عليها الدلاله دي معاها فواتير حرير ودى فواتير مقصب ودى فواتير شيت ودي فواتير تيل ودى صناديق صابون روايح ودى علب دهان ودي جزم ودي شباشب ودي مناديل وهيا بتشتري من هنا وبتفرق من هنا كل مادخلت عليها واحده تعطيها بدله والا منديل لما صبحت الراجل ياعيني عدم وندم ودا كله من قلة التربية وعدم معرفتها حقوق الراجل والبيت واقول لك ايه واعيد لك ايه ربنا يابنتي يهديكي ويكفيكي شر المستخبي في عالم الغيب

روحي يا حبيبتي اشطري وافتحي عينك و ربنا يبعد عنك
أولاد الحرام ويهنيك بعريس ابن حلال زيك»

*
* *

والبعض الآخر أرسل بناته الى المدارس الاميرية أو الأهلية فتعلمن فيها مبادىء القراءة والكتابة ونزرا يسيرا من الدين لا يكفي لبث روح التقوى في نفوسهن وماذا كانت نتيجة هذا التعليم؟ كانت كما نشاهد ونرى ضربة قاضية على آداب الفتيات وواسطة فعالة لوقوعهن في اشراك الشبان وتبادل الرسائل الغرامية فيما بينهم ومن جهة أخرى فان خوض المطبوعات في هذه الايام وظهور الكتب الفاسدة في كل يوم قد ادى ذلك الى زيادة اقبال الفتيات على الفساد فهن لا يقرأن الا الروايات الغرامية المفسدة للاخلاق وغيرها . قف أيها القارىء في محطة الترام وراقب بنفسك ذلك تجد انه لا يشتر تلك الكتب التي شبهها بعضهم بجيفة منتنة تفسد جوا الآداب غير النساء وأغوات الحريم ولا يخفى مافي مطالعة تلك الكتب من الاضرار الادبية . ثم اوجه التفات القراء الى مراقبة باعة الكارت بوستال وما فيها من

الرسوم المفسدة للاداب والفضيلة تجد اقبال النساء المسلمات عليها عظيما وعليه فان الطريقة التي يسير عليها المسلمون الآن في تربية بناتهم فاسدة جدا وقد سبق لنا القول بان كل أمة لم تنظم قواعد تربيتها حسب ما يوافقها وعلى مقتضى عاداتها واخلاقها وطبقا لشرائع دينها سرى فيها روح الفساد لو سألناهن عما تعلمنه في المدارس — تعلمنا النحو والصرف والانكليزي والتاريخ والجغرافية والحساب والاملاء والانشاء وشيئا قليلا من الخياطة — ولكن هل علموهن واجبات الام واعدادهن لوظيفة الزوجية ؟ أما هن اللواتي يطلب منهن ان يقدمن للوطن رجالاً اقويا الاجسام ؟ هل يعرفن مبادى علم الصحة واصول التربية البيتية الصحيحة ؟ هل درسن شيئاً من العلم الذى يجب ان يضعنه فوق كل علم ؟ هذا العلم الذي يقلل مخاوفهن ويخفف همومهن ولا يجعلهن اليوم بلا سلاح ولا معرفة باذاء المخلوق الصغير الذى تعطيهن اياه العزة الالهية .

ومع ذلك فهذه الابنة التي يساء تعليمها الى هذا الحد هي ام العائلة وحجر الزوايه وسلم الارتقاء في الهيئة الاجتماعية

هذه الابنة التي يساء تعليمها وتنهك قواها بلا جدوى ولا فائدة انما هي مربية النسل وقائدة الانسانية . فما اسعد الانسانية والهيئة الاجتماعية يوم يصلح الناس تربية البنات بحسب الطرق التي يشير اليها الفلاسفة والعقلاء ونما لها اعدادهن لوظيفتهن الشريفة الانثوية التي هي فوق وظائف الملوك والامراء

واما الفقراء من المسلمين فعدا عن انهم أهملوا تربية بناتهم فانهم يعدون تعليم الفتاة حديث خرافة وسفاهة فتركوا البنات كالانعام السائمة فكن بذلك اقرب الى الفساد من غيرهن وقد دفع الفقر بعضهن الى ارتكاب الموبقات والاعتصام بالمواخير ودور المومسات وبيوت المخدمين والمخدمات التي يتاجر اصحابها باعراض الفتيات . . . . مما هو معلوم ومشهور ولا يحتاج الى تصريح وايضاح ولقد أحسنت الحكومة كل الاحسان بانشائها اصلاحية البنات التي ضمت في جوانبها الآن نحو ٨٠ فتاة من فتيات المسلمين اللاتي كن عالة على الآداب والمسلمين معاً وبوجه عام فان الجهل السائد الان بين النساء المسلمين قد قادهن الى التخلق

بالاخلاق الفاسدة والعادات الذميمة وادخل على عقولهن الخرافات والاوهام حتى انهن باتين من السخائف ما يضحك الثكلى و يبكي العروس وحسبنا دليلا على سوء نتيجة تربية المرأة انها لا تربى اولادها الا على اخلاقها وما نشأن عليه من المفاسد المتأصلة في نفسها فاذا مرض طفل بين يديها لازت الى الشعوذة والرقي والتمائم التي يرشدها اليها فساد اعتقادها خصوصا طب العجائز المسمي (بالركه والتجربة) ولما يبدو على الطفل أثر النقاهة بسبب زوال المرض من نفسه تظن تلك الام الجاهلة الموت ان الشعوذة افادة طفلها وردت القضاء عنه وحالت بينه وبين الموت ببركة المتشعوذين مع انها بذلك تمهد سبيل الهلاك لذريتها وهي لا تشعر بل اذا مات طفلها ظنت ان موته نتيجة عدم وفاء بنذر من النذور أو لعدم تقديم القربان والعجول والخبز والفول للاضرحه وسكانها الاحياء الذين قضوا حياتهم ومعيشتهم على مثل هذا الاستجداء المعيب المعود على الكسل والجبن وعدم النزوع الى اكتساب العيش بالطرق المشروعة

ومن المصائب الكبرى ان هذه الجهالات تعزى

الى الدين وهو براء من أوضارها ونزيه عن أوزارها بل الدين النقي قانون للنفوس والارواح وأوفي ناموس للتربية والكمال فلا يأمر باعتماد على مخلوق (١) مهما عظم قدره وسما ذكره وشرف نسبه ولوكان نبيا مرسلا فأن الشريعة ارشدت الا ان الله تعالى جعل لكل داء دواء ولكل مرض علاج ولم يرد في كتب الدين ولا في اسفار الملة أثر يدل على احترام الشعوذة أو الاعتماد على التمائم والبركات في ازالت الامراض وكشف الملمات ولكن لا بأس بالالتجاء الى الله بالقلوب والاستغاثة برحمته في نفس العلاج الذي يستدعيه المرض بارشاد الطبيب الملم بفن الحكمة وطبائع الاشياء ومن عاداتهن السخيفة الاستشفاء من بعض الامراض العصبية بالزار واعتقادهن بانهن لا يبرأن مما ألم بهن الا بواسطته وقد رأينا اتماما للفائدة ان نقول كلمة بشأنه

«الزار»

اذا رجعنا الى التاريخ وقلبنا صفحاته لا نجد له ذكرا

(١) وهاهي مجلة المنار حافلة بجملة مقالات لصاحبها السيد رشيد رضا مثبتة فيها بالاحاديث والقرآن عدم الاعتماد على مخلوق

مطلقا ثم ان اليونانيين كانوا يعالجون المصروعين و بعض المصابين بالتوقيع على الالات الموسيقية وورد مثل ذلك في التوراة مما يدل على ان هذا الامر كان له أثر عند اليهود وذلك ان الملك شاول أول ملوك بني اسرائيل أصيب في آخر أيامه بعرض عصبي شديد الوطأة كان اذا انتابه يقترف امورا مختلفة فانه كان يضرب بعصاه كل من يكون بحضرته ويكسر مايصادفه من الاواني المختلفة وقد رأي شيوخ اليهود ان يحضروا له شابا جميل الصورة يحسن التوقيع على المزمار والقيثار ليطربه بانغامها الشجية ويسكن اضطرابه وهيجانه فاحضروا له سيدنا داود عليه السلام

ولكننا لم نصادف في التاريخ شيئا مثل ذلك وفوق هذا وذاك فقد اظهر الطب الحديث فساد ذلك وا كد ثقاته بان الذين يستشفون بالزار يرتكبون غلطا كبيرا لان ذلك ماهو الا أمراض عصبية تصح معالجتها بأدوية معلومة

واذا رجعنا الى صدر الاسلام وطالعنا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نجد أثرا لذلك قط

ثم لو بحثنا اليوم بين المسلمين الساكنين في جميع انحاء

المعمورة كتركيا وسوريا ورووسيا وجاوا والجزائر وتونس وغيرها وغيرها لا نجد اثراً ولا ذكراً للزار وذلك مما يدعو الى العجب والاستغراب . كان العفاريت لم يجدوا لهم بقعة مباركة غير مصر يقطنونها ويحلون في اجسام اهلها ويعبثون بصحتهم وراحتهم هـذه من جهة واحدة ومن جهة اخرى نأسف على تلك الاموال التي ينفقها المسلمون على الزار

وقد قال احد الافاضل اننا لو جمعنا تلك المبالغ التي تنفقها نساء المسلمين في سبيل الاستشفاء من الزار لامكن بها انشاء جامعة كبرى تفيد البلاد فوائد جليلة ومنافع جزيلة ولو استرشد اولئك النساء بعلم الطب لامكن شفاؤهن مما الم بهن فيقتصدن تلك المبالغ ويرحمن ازواجهن وجيوبهم ولا يقلقن راحة الجيران وينهكن اجسامهن

فيا أيها المصريون قوا انفسكم واهليكم وذريتكم ناراً وقودها ارواحكم وأموالكم وبلادكم فتداركوا خطب الجهل الفاضح قبل استفحاله وحذار من اهمال ما ادعوكم اليه فهو يرتبط بحياة مستقبلكم ان كنتم راشدين . علموا فتياتكم ربوهن على مبادي مشروعه تجعلهن ذوات علم وفضيلة وانكم انا

علمتموهن تستثمرون معارفهن في ناشئتهن الذين هم رجال ونساء المستقبل وقد بينا لكم خطر جهل المرأة وغرورها فاتقوا الله في فتياتكم ولا تهملوهن يتعلمن من غير قيد ديني بل لاحظوا اننا نرشدكم الى وجود توخي الدين في تعليم المرأة لا اهماله فان انتم فعلتم ونهضتم وبرهنتم على حياتكم بانشاء مدارس لتربية بناتكم يكون الدين اول مطالب التعليم فيها فقد نجوتم من المنتظر وامنتم شر البلاء المحدق بالمستقبل ولا تعتمدوا في ذلك على غير انفسكم فان الحكومة لديها مايشغلها عن الفكر في مثل هذا الواجب الاهلي التي يشعر به المحكومون نحو انفسهم وذويهم ولا ينتظر من غير المريض شعور بآلامه وجميعكم تدركون ان نشأة الامة اذ لم تكن شاملة لنوعي اجتماعها كانت مبتورة لا خير فيها ولذلك قرر عقلاء العمران وحكماء الاخلاق ان الشعوب التي تريد الارتقاء والتقدم في ميدان الحياة يجب على زعمائها وذوي الرأي والقوة فيها ان يلجأوا الى وسائل الحياة والعمران من طريق العلم والتربية ويستوي في ذلك فتى الشعب وفتاته فعلى كليهما تقوم الحياة وبهما يتكون

الشعب واذا لم تستوي الكفتان كان في رجحان إحداهما احتقار الاخرى ولا يخفى ان احتقار المرأة مدعاة الى تأصل الحقد فى نفسها واكبر عامل على انتزاع احقاد الصدور في الزم الامور بحياة الشعب . ولا الزم من التربيـة فانها هي الركن الاول في وجود النشأة الكاملة التى توهل القوم لان يكونوا اكفاء لكل مهام الحياة ووظائف الاجتماع العام والله المرشد الى خير الامة والموفق الى ما فيه صلاحها واصلاحها انه على كل ذلك قدير

وجوب تعلم المرأه عملا (١)

نصائح فيلسوف لابنة غربية يجب باختها الشرقيه ان تتأمل فيها

منح الله الكتاب سلطانا على النفوس الحية بأقلامهـم التى تسطر سحرا حلالا فعالا في النفوس بمعانيه الجزلة وآياته الراسخة الـتى تنشـط فكر القارئ من عقال سكونه وتذهب به مذاهب الحركة والتدبر ومثل هولاء الكتاب يجب أن يكونوا قادة الافكار وقواد الشعوب فى ميادين العلم والتربية بل في مضمار الحياة والتقدم

ويدلنا على صحة هذا ان الكاتب الطائر الصيت جول سيمون له من الآثار العلمية والنفثات التهذيبية ما يقيد النفوس لاحترامه

(١) نقلا عن مجلة الجامعة الغراء

ويحتم على العقول الاعجاب به مع اجلاله واعظامه وقد كتب فصلا في موضوع كتابنا هذا جديرا بأن ينقش على صفحات الافئدة في العائلات المصرية بمداد من الثقة وحسن الاتباع

نعم كتب هذا الكاتب فصله التالي لفتاة غربية لكنه يتضمن آداب التربية وأخلاقها العملية والعلمية فوجب أن تهتم به كل فتاة ذات أسرة و وسط ليتأتي لها أن تعيش وتستعد للحوادث وتكون على استعداد لطرفي الحياة كل طرف بما يناسبه من سعادة وشقاء ونحو ذلك واننا ننشر ذلك الفصل معجبين به وكان يودنا أن نجعله صحيفة من صحف الحياه التى يجب أن تقرأ في كل آن تعرف منها كل فتاة أحوال الزمان من أفراح وأشجان فعلى القارئة امعان الفكر وزيادة التروي لالتقاط تلك الدرر واجتناء ناضج الثمر وهي.

خذي لك زوجاً يابنية ففي الزواج السعادة لانه السبيل الى الامومة (١) اما الحب فما هو الا نشوة ذاهبة. انت بحاجة الى مدافع يحميك ويذود عنك . انظري الي الرجال فان الضعيف منهم قادر على سحقك بقبضته . كذلك انت بحاجة الى رئيس مدرب يحسن تدريبك في هذه الحياة لان عقلك

---

(١) ما أجمل هذا القول وهو ان الزواج لايجب ان يقصد به الاجمل المرأة اما لتكثير النسل المبارك في الارض وتعمير الكون

معما كان ساميا فانه يكون دائماً بحاجة الى امر لا بد منه . وهـذا الامر هو قوة الطبع . ولذلك فانه يحتم كلما استفرغت وسعك في امر ويضعف بعد العناءفيكون بحاجة لان يجد في غيره القوة التي ليست له .

انت كثيرة التخيل والتصور . لذلك تعتقدين بخلود الحب . ان خلود الحنو والوداد امر ممكن . اما خلود الحب فو هم لا يوجد الا في مخيلة الشعراء والقصاصين لان الحب يذهب ماذهب سببه وهو الجمال. حتى انت نفسك لا ترضي بان تكوني محبوبة لجمالك فقط فان هذا اساس ضعيف واه ولا يخلو من خطر على سعادة مستقبلك بل يجب ان تعتمدي في الزواج على امتزاج الارواح واتحاد النفوس . فان محاسن النفس اسمى واشرف من محاسن الجسد دائماً . ومما يزيد شرفها ان الوقت لا يزيدها نمواً وازدياداً وانك ترين الجسد في كل الامور آلة تخدم النفس فيكفي ان لا يكون الجسد كريهاً وان يخضع للنفس وهي مع الوقت تزينه وتحسنه وتختمه بختمها الجميل . فلا تفتكري يابنية الا بها ولا تنظري الا اليها

واحذري يابنية الشبان وما يبدون من الظواهر

الكاذبة (١) واحترسي لئلا تصادفين من يقول عنك في سره « هذه عشيقتي » بينما تقولين عنه انت في سرك « هذا خطيبي وزوجي »

واحذري يابنية ان تكترثي بالخطيب اكثر مما يجب فانه ربما يكون شاباً رديء الاخلاق يبغي التلاعب باقدس مافي هذا الوجود وهو شرف العذراء

وكوني ايضاً على حذر من كل من يظهر لك الحب فانه قد يكون مخادعاً لا يقصد غير قطع الوقت والضحك منك غير عابيء بشرفك وبصيتك

وبينما انت عذراء في ذهرة العمر منهمكة باعداد نفسك لواجبات الحياة لا تنسي ان الزواج – متى تزوجت – يخفف مصاعب الحياة دون ان يمنع حدوثها . ثم اذكري ان عليك بعد الزواج واجبين عظيمين : الاول ارضاء زوجك . والثاني تربية اولادك احسن تربية .

هذه واجباتك الخصوصية . ولكن عليك ايضاً واجبات اخرى قد تصبح من اهم الواجبات التي يجب عليك

(١) عبث الشبان بسذاجة البنات وفضيلتهن

القيام بها . اني اخاطبك بلهجة الاب الحنون فعي قولي واصغي لنصائحي . يجب ان تتبصري في عواقب الامور وتمملي لاستدراك مصاعب الحياة (١) واذا كنت لا تمدين نفسك الا للتصدر في حفلات اللهو والذهو فانك تلحقين بنفسك ضرراً كبيراً . وحينئذ فانني اشفق عليك كثيرا . انك لم تخلقي لتكوني صنماً ينصب في القاعات فضلاً عن ان وظيفة الصنم امراً مملاً شائناً وهو التضجر وعدم الفائدة . واعلمي انك ربة العائلة في الحقيقة وان كان زوجك يدعي صاحبها . ذلك لان اعمالك فيها اكثر من اعماله واشد صعوبة منها . واذا صح هذا القول فانت اسمى منه قدراً وارفع شأناً لان الفضل في العائلة كما في الدولة انما يقاس بمقدار الواجبات واهميتها

واول شيء من واجباتك المظيمة التى لا يليق بك نسيانها هو الموت (٢) كلام يهدى الى العائلة التي لا تفتكر بمستقبلها نعم الموت الهائل الذي قد يضعضع اساس العائلة في

---

(١) لم تخلق المرأة لتكون صما ينصب في القاعات ولا ذهرة تشم رائحتها ولا عصفورا يسمع تغريده ولكن عاملا محدثا مهذبا في الهيئة الاجتماعية

بعض الاحيان • فانه قد يختطفك من بين ذويك قبل ان تتمي ما يجب عليك لاولادك من غرس اصول الادب والشرف والفضيله في اعماق نفوسهم • وهو فكر هائل يجعلك لا تهملين تربية ابنائك دقيقة واحدة اذ تخشين في كل عام ان تؤخذي منهم دون ان يكون لهم من يقوم مقامك بينهم •

وقد يكون الموت اقسى قلباً فيختطف من بين يديك زوجك الكاتب او العامل او البحار . فما انت صانعة بعد هذا الخطب العظيم • قد قيل ان المرأة تلقى من الصعوبة في القيام بشؤونها الخصوصية فوق ما يلقاه الرجل في القيام بشؤون عائلة • وهو امر حقيقي • فماذا تصنعين يوم تصبحين ارملة ويصبح على يديك الضعيفتين اولاد يطلب منك القيام بأودهم ؟

وقد تصبحين ارملة بطرق مختلفة . الاولى بموت زوجك ثم بمرض عقلي او داء عقام يعتريه • وحينئذ فانك لا تخسرين عمله واسعافه فقط بل يصبح هو نفسه حملاً ثقيلاً على كاهلك الضعيف • ثم قد يمكن ان يهجرك بلا خوف من الله والناس ويتوارى عن الابصار . بل قد يمكن ان يهجرك دون ان يتوارى متسلحاً بقانون الطلاق . فماذا تصنعين حينئذ ؟

انك لا تفتكرين بذلك يا بنية حينما يعمي الحب بصرك
أو يغلب عليك حب الانتقال من طبقتك الى طبقة أعلى
منها وبالاحرى الى ماتتوهمين انه أعلى منها فان الحاضر يحجب
حينئذ المستقبل عن عينيك فيظهر لك كل شيء خالداً حسنا
ألا فاعلمي ان كل شيء في هذه الحياة متقلب غير ثابت . بل
ان الحياة نفسها غير ثابتة كما تعلمين . وانما الثابت هو الواجب
فافتكري حين زواجك بأمرين : الاول موتك والثاني موت
زوجك واعلمي ان الحياة انما هي في الحقيقة واحدة لجميع المخلوقات
البشرية وان كانت مختلفة في الظاهر وكل الناس سواء لدى
الاحتياجات المادية والعقلية والادبية لانهم كلهم يفتقرون
اليها ويحصلونها بوسائط واحدة وهي النشاط وعلو الهمة
(١) جميع البشر متساوون لدي الحقيقة وان كانت أحوالهم
مختلفة في الظاهر وما اجهل الذين يرون للبشر مميزات غير الفضيلة
وقد يلقى ما بين البشر من الاصطلاح والاتفاق ستارا
على تلك الحقيقة الباطنية الازلية فيجهلها وينكرها . ولكن
فاعلمي انه حينما يفتح كتاب التيالادب يبطل فلاحين أو
ينقص نقصا عظيما فالملكة كالفقيرة مسئولة عن اجسام أولادها

وعن نفوسهم وعقولهم وكلتاهما تكونان بالاعمال التي تعملانها عظيمتين او حقيرتين والمسيحية تعلمك ان هاتين المرأتين متساويتان لانهما كلتاهما فديتا بدم اله واحد . اما الزينونيون (١) فانهم يقولون قولا أقل مجازا وهو « ان العالم مرسح فسيح وكل واحد من الناس يمثل فيه الدور الذي خص به فالامر المهم الطريقة التي يمثل بها الدور لا الدور نفسه »

فانت يا بنتي مع كونك ابنة عامل اعلمي انك امام الله وان جاز ان يلفظ بعد اسمه اسم آخر فامام الحكماء - مساوية للملكة ذات عرش وسلطان . بل انك افضل من الملكة وارفع شأنا اذا اظهرت في واجباتك من الشجاعة والفضيلة ما يفوق شجاعتها وفضيلتها . وبعد الموت لما تفرغان من واجباتكما في هذا الوجود وتتممان كلا كما تمثيل الدور الذى خص بكل واحدة منكما فانكما لا تتماملان في العالم الثاني والحياة الثانية الا بحسب اعمالكما الذاتيه من خير وشر على ان ذلك لا يمنع من ان

(١) الزينونيون هم أنصار الفيلسوف زينون الذى مقتضي فلسفته ان السعاده الحقيقة في الفضيلة دون سواها وان الانسان لا يجب أن يعبأ بشيء في هذا العالم

تخضعي لها في هذه الحياة وتقومي بما اوجبته عليك لها المواثقات والاصطلاحات البشرية

ولست ايتها العزيزه بذاهب كالزينونين الى ان اختيار الدور مريس بذى شأن بل اقول ان اهميته دون ريب اقل من اهمية الواجب لان الواجب ازلي تتوقف عليه المصالح الازلية اما الدور فانه حادث وقتي وسحابة تمر . اما الزينونيون فانهم يزعمون بان الالم الذي ينالك من تمثيل ذلك الدور هو الم بالاسم فقط وانه لا شيء في الحقيقة وبذلك يفسرون احدي مبالغاتهم بمبالغة مثلها . كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء اما انا فاني اقول ان ذلك الالم شديد الوطأة وانه يحق لك الشكوى منه وان كان حادثا وقتيا . ولكن الشكوى لا تزيل البلوى بل الاجدر بك ان تبذلي قصاري الجهد وتعالي بهدوء وسكوت لاصلاح شؤونك وبلوغك احسن حالة تستطيعين بلوغها واذا كنت عاجزة او سقيمة اي اذا كنت عاجزة عن تحصيل خبزك وخبز اولادك فذلك لا يمنع من ان تكوني اختا ومساوية لي

ولكنك اذ ذاك تكونين اختا شديدة التعاسة . ولا اعرف

لك والحالة هذه من دواء عدا الاحسان الذي انا مديون لك به سوي وضعك تحت حماية الله وكرمه . فالله وحده يعلم اسرارك وهو وحده قادر على تخفيف حملك وتقليل مصاعب حياتك

ولكنك اذا كنت عاملة وكنت متمتعة بصحتك ومقترنة برجل اديب نشيط فلا تحسبي نفسك يا بنيه انك تعيسة ساقطة . فان الزعم بكون الحاجة الى العمل امراً دنيئاً زعم فاسد . باطل نعم يجوز لك الشكوي من عملك اذا كان شاقا وطويلا جداً ولكن العمل بحد ذاته . العمل المناسب لقوى العاملة وذوقها واستعدادها انما هو نعمة وبركة من الله (١) افتكري يا بنية بالذي كان يصيبك لو حكم عليك هذا الحكم الهائل وهو : عدم المقدرة على العمل . وليس هذا الحكم قاسيا وهائلا لانه يمنعك من الربح فقط بل لانه يمنعك من العمل نفسه . فان كوننا ذوي قوة وعجزنا عن انفاذ هذه القوة مصاب لا يحتمل . وانما تكون حينئذ تلك النفس

(١) يهدي هذا الكلام وما به الى كل من كان بلا عمل أي بلا فائدة وجدير بكثيرين أن يقرأه مرارا

المرتبطة بذلك الجسم العاجز القاصر كحي مرتبط بميت . والعياذ بالله .

ان العمل هو التحصيل . هو انفاذ القوة والتمتع بها واذا قلنا « قوة » فانما نعني بذلك استعداداً طبيعياً . افيجوز ذلك ان تعتبري جري الاستعداد الطبيعي في مجراه الطبيعي أمراً دنيئاً متعبا . ان البطالة في رأي اكثر اتعابا وأشق حملاً . ولو سئل العقلاء اياً تفضلون الافراط في العمل ام البطالة الدائمة . لفضلوا الامر الاول على الامر الثاني حفظاً لصحة اجسامهم وعقولهم وآدابهم ولكننا لسنا الآن في مقام الغلو ولسنا نطيق الافراط في اى أمر من الامور . بل انّي أرى ان كل انسان يضام من عمل فوق وسعه وطاقته يحق له أن يسعى لكشف الضيم عن نفسه وعلى الناس ان يساعدوه على ذلك . وانما اتكلم ههنا عن العمل المناسب لقوى العامل ومواهبه الطبيعية . فأقول ان هذا العمل منحة ونعمة من الله يجب علينا قبولها برضى وسرور ومن يفر منها فانه يفر من واجباته نفسها .

وكثيراً ما يكون الانسان المتولى عملاً ما غير قادر على

القيام به ولكنه قادر كل المقدرة على القيام بعمل آخر غيره .
فيجب والحالة هذه فصله عن عمله الاول وتقليده العمل الثاني
المنطبقة على ذوقه وقواه ، وكل الحكماء والفلاسفة يشتغلون
الآن بحل هذه المسألة اعني مسألة اعطاء كل انسان لدور الذى
يقدر عليه . وقد ابان (فوريه) هذه المسألة ببراعة فلم يتصد
احد لمعارضتها . ولكن من يتولج وظيفة رئاسة الممثلين ومن
يستطيع القيام باعبائها كلها وكيف يجبرون الناس على الرضي
بالادوار الصغيرة تلك هى المصاعب الثلاث التي لا تزال
تعترضهم حتى الآن والتي يسكت عنها اكثر الاشتركيين
غير ان سكوتهم عنها لا يعد حلاً لها (١)

---

(١) هذه هي هم الاعتراضات على مذهب الاشتراكيين . ومعنى
ذلك ان الناس اذا اقيمت المساواة التامة بينهم بقيت مع ذلك
هذه المساواة ناقصة اذ لا بد من السلطة والأعمال الصغيرة
فمن يكون رئيسا للجميع . ومن هو قادر على النهوض باعباء
الرئاسة العامة . ومن يرضي بأن يعمل الاعمال الصغيرة بازاء
الاعمال الكبيرة التي يعملها جيرانه . فالامتياز اذاً لا بد منه

أما انصار العدالة — الذين هم ايضا انصار الحرية ولكنهم عتازون عن الاشتراكيين بهذا الخلق الاخير اي نصرة الحرية — فانهم يشتغلون بتعميم التعليم بين الجميع على السواء وبتسهيل وسائل العمل لافراد الامة وبهذه الواسطة تنشط القوى من عقالها وتنهض الى المقام الحقيقي الذي خلقت له . وهو عمل صحيح وسعي مفيد . ولكن هنا نقطه سوداء وما جئت يابنية الا لتوجيه نظرك اليها . وهذه النقطة هي الاعتقاد بكون بعض المهن والاعمال افضل من البعض الآخر وذلك بمجرد طبيعتهما لا بنسبتها الى اميال صاحبها واستعداده الطبيعي . ومن اجل هذا الاعتقاد الفاسد اصبحت جميع الوسائل التي نتخذها لتسهيل سبل

بين الناس تبعا للقوى والمواهب وانما الدواء الوحيد لازالة الضرر والفساد الحادثين في المدينة الحاضرة هو تعميم التعليم كما قال الفيلسوف بعد ذلك بسطرين ليتسنى للنفوس الكبيرة المستعدة أن تنهض بدلاً من اختناقها في الجهالة والاهمال ومما مر يتضح ان هذه المقالة الادبية المحضة تحتوي على نقط من اجل النقط الفلسفية والعمرانية ،

الارتقاء لذوي الاستعداد والمواهب آيلة لاكثار «الساقطين والساقطات» الذين هم الضربة الحقيقية وأصل كل الضربات التي تئن من وقرها الهيئة الاجتماعية (١)

فانك يا بنية فتاة ذكية نبيهة قادرة على تحصيل خبزك بشرف في المعامل بواسطة عملك اليدوي. ولكن صديقتك لا تميل الى الاعمال اليدوية بل الى الاعمال الادبية. ولذلك دخلت المدرسة فما مرت عليها فيها بضع سنوات حتى نالت شهادتها واصبحت معلمة بارعة . فمهما بذلت انت من الجهد ومهما بذلت هي فلا هي تقدر على عملك ولا أنت تقدرين على عملها .

ولكن ماذا يحدث في بعض الاحيان يحدث ان المعلمة سيدة تلبس قبعة ويسميها الناس سيدة فهذا البرق الخلب يخطف أبصار بعض البسيطات فيقدمن على التعلم ليصرن «سيدات» فيصرفن أهم قسم من حياتهن في متاعب

---

(١) نريد بالساقطات والساقطين الطبقة الاجتماعية الصغيرة التي تود التشبه بالطبقة الكبرى دون أن تستطيع ذلك فتسقط من طبقتها ولا تقدر على بلوغ الطبقة التي فوقها .

الدروس التي لا يستطعن البراعة فيها والتضلع منها ثم ينلن الشهادة بعض شق النفس وحينئذ يعلمن انهن خرجن عن الوظيفة التي خلقنا لها والعمل الذي هن مستعدات له فيندمن ولكن لات ساعة مندم : واني مهما بالغت في القول لا أقدر أن اصف البون الشاسع الكائن بين عاملة مجتهدة قانعة بعيشها ومعلمة متضجرة غير راضية بعملها : اما أنا فانني احسد الاولى وأغبطها واما الثانية فلا أعبأ بها . فاحذري ايتها العزيزة ذلك الثوب الحريري الذى يسمونه حريرياً مع أنه مشوب بالقطن . واعلمي ان سيدة فاضلة لا تلبس احدى خادمتها ثوباً كهذا الثوب . بل ان الثوب الصوفي يكون اليق بك وبجمالك لانه لا اقبح من منظر الزينة الكاذبة

لقد خطبت احيانا في بعض فتيان خرجوا من المدرسة أو من المعامل لينخرطوا في سلك الجندية فكنت اقول لهم ما يلي (١) «اني اتمنى لكل واحد منكم يا ابنائي الاعزاء أن يقوم بالوظيفة التي هو اهل لها والتي يقدر على

---

١ كلام جميل يهدى مع ما يليه الى الذين يؤثرون البطالة على أن يعملوا أعمالا يحسبونها أحط شأنا منهم

اتقانها . فانني لمن كان منكم ذا معارف وعقل أن يكون قائداً ، فانه يكون حينئذ سعيداً مساوياً لزملائه القواد وصديقاً لرجاله الذين يثقون به كل الثقة ويمشون الى النار مسرورين تحت قيادته . اما الذي لا يفهم من نظام الجندية شيئاً والذي تكون معرفته محصورة في حمل جرابه وحشو بندقيته والمشي بلا تعب وقتاً طويلاً فهذا لا أتمنى له ولا وظيفة ضابط ثان . لان رجاله يقولون عنه في سرهم « هذا الضابط جاهل » ثم انهم لا يقولون ذلك في وجهه بسبب النظام العسكري ولكنه يقرأه بسهولة في عيونهم وعلى جباههم وقد يرتكب هفوات تذهب بحياته وحياة رجاله مع انه لو كان ماهراً في وظيفته لصار بهم الى النصر سيراً محققاً فليطلب كل واحد منهم يا أبنائي المقام الذي هو أهل له »

وكنت أقول ايضاً « لا تمزجوا كلامي بالتعاليم الاستوقراتية التي تقضي على الانسان بأن يبقى في الطبقة السفلى اذا ولد فيها وان تحصر مقامات الشرف والسيادة في طبقة الممتازين أصحاب الجاه والثروة فاني انما اريد ان يحتل كل واحد المقام الذي هو اهل له من حيث الكفاءة الشخصية

هذا نائب او عضو من اعضاء مجلس الشيوخ له ولد حمار بليد ومن الممكن ان يعتني به أبوه وينفق على تعليمه النفقات الطائلة لينيله الشهادة العلمية . وبعد ذلك ؟ لا شيء بعد ذلك . كان الابن قبل نيل الشهادة حمارا أما الآن فانه أصبح حماراً بشهادة وصار ادعى الى الهزء والسخرية . فلو كان ابوه رجلا حازماً أو لو كان الولد نفسه ذا ذوق واحساس لتعلم صناعة البناء لانه كان لا يصلح الا لها ولو فعل ذلك وكان مجتهداً أديباً لاكتسب احترام جميع الناس واعجابهم وأصبح في الوطن عضوا نافعاً مكرماً . »

أما انت يا بنية فانك تقدرين بدون شهادة وبدون شخص ان تندمجي في سلك (السيدات) ولا يكلفك ذلك لان الاقتران بشخص من تلك الطبقة أي التزوج (بموسيو) ولكن هذا الامر خطر عظيم تجتازينه وتحملين متاعبه . لان هذه الطفرة من طبقة الى اخرى لا تنجح الا نادرا جدا . وبينما يكون الجميع يعجبون بك ويمدحونك وأنت بلباس العملة يصبح الجميع يهزؤن بك ويمدحونك وانت بحال السيدات هذا واخبرك ان الف واحدة من الطافرات لا تثبت منهن

الا واحدة فقط في محلها بعد هذا التغيير والانقلاب .

ولكن هل تعرفين يا بنية الامر الذي هو أصعب من الصعود ؟ هو النزول . وهذه المصيبة تصيب دائماً اللواتي تتطاول أعناقهن الى العلى وحب الارتقاء فيهبطن هبوطا سريعاً ويفرح الجميع يومئذ بهبوطهن لانه القصاص العادل على طمعهن الذى تعدى حده

واني لا انكر وجود بعض مصائب غير اعتيادية ولكنا اذا تأملنا وامعنا النظر نرى اننا نجلب تلك المصائب بأنفسنا الى أنفسنا . مثال ذلك اننا نعتقد بقوة بنيتنا ومنعتنا فنبدأ في زمن الشباب بالافراط والاكثار من كل شيء . وكلما آتينا نوعا من الافراط نباهي بقوتنا ونهزأ بمن ينصحنا ويبدي لنا رأيا صحياً . ويخيل لنا حينئذ ان بنيتنا غير قابلة للضعف والمرض . ولكن المرض يأتينا في ذات يوم من حيث لا ندري . فنودع حينئذ العافية وصفاء العيش . — اواه لو عرفت ذلك لوقيتُ نفسي وداريت صحتي . — ولكنك كنت تعرفه يا احمق جد المعرفة فلا تمحل لنفسك عذرا .

انك بحثت عن حتفك بظلفك وسعيت الى شقائك على قدمك .

وما قيل عن الصحة يقال عن الثروة فان اقل الاشياء يبددها تبديدا . وقد يوجد بعض مراكز وبيوتات مالية يقولون عنها انها راسخة لا تتزعزع حال كوننا نرى في كل يوم على عدم ثباتها ادلة جديدة . على ان هذا الرسوخ الذي يعتني مؤسسو الحكومات الدستورية بدعمه وتأييده والذي يعتبرونه حاجزا ضد هجمات الديموقراطية آخذ في التضعضع شيئاً فشيئاً حتى ان رئيس البلاد نفسه ليس بأمن من السقوط حين يحتدم غضب الشعب ويثور ثائره وقد يسقط البعض من عل فيهوون حتى الى دركات الحضيض فيمنعهم حينئذ ذكرهم وحياتهم الماضية من ان ينتهجوا في معيشتهم منهجاً جديداً او ان يأتوا عملاً ما . فافتكري بذلك يا ابنيه وتذكري انه يجب عليك هنا واجبان عظيمان يطلب منك القيام بهما بكل شرف وشجاعة الاول قبل السقوط ومقتضاه النصيحة والارشاد والثاني بعد السقوط ومقتضاه المعونة والاسعاف وكثيرات من السيدات يقلن ويعتقدن ان قولهن فضيلة :

(انا لا أتداخل في السياسة) ومن وراء ذلك يشرن على ازواجهن بفعل الدنايا ويقلن الى ازواجهن (انت أسير عائلتك) كلا ثم كلا انه بصفة كونه ابن البلاد اسير بلاده ثم بصفة كونه رجلاً اسيرا الشرف اما العائلة فلا تأتي نوبتها الا بعد . فتأهبي يا ابنية لمعاركة الدهر ومحاربة الايام واعدي نفسك لاسعاف زوجك بنصائحك وارائك في حالتي السراء والضراء واعلمي انه ربما اتاك يوم ترين نفسك فيه مضطرة الى ان تقولي له « انك مديون لي بأمرين : الخبز اليومي وشرف اسم مشترك بيننا . فان كان لا بد من ضياع احدهما فانا افضل خسارة الاول وهو الحياة والتمسك بالشرف : فافعل انت فعلي » فاذا كنت ترين نفسك لا تستطيعين النطق بمثل هذا الكلام الشريف وكنت توجسين من نفسك ضعفاً فانصحك ان تجتنبي بقدر الامكان الاقتران برجل يتعاطى الاعمال العموميه . وفي هذه الحال قابلي يا ابنية ضعفك بمقدار طمعك

ربما تقولين ان ثروتي مؤسسة على صخرة الازلية لا تصل اليها الاغراض والمطامع البشرية . ثابتة وراسخة كمبادىء الملكية التي هي حصن الهيئة الاجتماعية . وليس من الضروري

ان تمد بالملايين لان الرجل الغني هو الذي يتأتى له القيام بحاجاته قبل نفاد ايراده . فانت هذا الرجل او بالاحرى امرأة هـذا الرجل وثروتك مضمونة تكفلها كل قوات النظام الاجتماعي . فاذا فقدت زوجك بقيت لك وتبقى لاولادك اذا فقدوك . فمركزك اذا مضمون احسن ضمانة يمكن وجودها في هذا العالم . وقد يمكن ان تفقدي الراحة والهناء لانهما غير منوطين بالمال ولكنك لن تفقدي قط ذلك المركز الراسخ لانه محرز عن مطامع البشر واهوائهم

ولكن ياللوهم والضلال ؟ فان الملكية العقارية نفسها ليست بمأمن من التغيرات والتقلبات . اما باقي انواع الملكية فلا اسهل من ذوالها . فالرجل يقود المرأة والعائلة الى هاوية الخراب والدمار ثم يعمد الى الانتحار فراراً من العار . ولا يستلزم خرابه وافلاسه ان يصاب بمصيبة او تلم به نكبة (١) فان اساليب المماطاة والاشغال المالية في هذا الزمان صارت تصعد في يوم واحد بفقير الى قمم الثروة والغنى وتهبط في ساعة واحدة

(١) كلام يهدي مع ما تقدمه من المقال الى البورصة ومضار بها في هذا الزمان

بصاحب الملايين الى حضيض الفقر والحاجة . فان زوجك قد يفتح رسالة فيجد فيها نبأ افلاسه وخرابه . فيذهل ويقضي بين امواج الابهة والعظمة . فيأتي بعد موته رجال الحكومة فيفتشون منزله بكل دقة وهكذا تنهمر الديون انهمار السيل فتصابين في لحظة واحدة بالفقر المدقع . بعد الغنى الواسع وبالضيق بعد السعة وبالشقاء بعد الرخاء . وتجدين نفسك في موقف حرج لانك ربة عائلة وام اطفال صغار يجب منك تحصيل خبزهم والقيام باودهم . فاين قوتك ؟ واي امل يبقى لك ؟

ان المتسولات فئتان . فئة تطرق المنازل والبيوت فتنتقل من باب الى آخر وتتحمل الطرد والشتائم والخشونة بصبر وهذه لا يبعد ان يقضي عليها في الشوارع والاسواق جوعاً وبردا . وفئة تقصد الاستدانة او تطلب الاستخدام براتب قليل في العيال او في احدى المراكز الصغيرة وهذه لا يعلم احد كل العلم مقدار تعاستها وذلتها لانها محجوبة عن الابصار . فالى اية الفئتين تقصدين حينئذ الانضمام يا بنية .

واني لا اقدر يا بنية ان اغير الهيئة الاجتماعية كما اني

لا اقدر على تغيير الانسانية . فانك منذ الآن لتكوني مستعدة للقيام بواجبات الحياة وللشغل والعمل اذا اقتضت الحال (١)

فاتخذي لك منذ الآن مهنة وتعلمي عملا بالرغم عن كونك في سعة وغنى وعودي نفسك على الشغل وعلى خدمة نفسك وخدمة غيرك ايضا . وتعلمي جيداً دورك لتحسني غدا تمثيله لفائدتك وفائدة الذين يلوذون بك . واجتهدي على الاخص مهما كان مركزك . باكتساب الصفات التي هي ضرورية لك والتي تدوم وتبقى لك اذا اعترى مركزك التغيير واعتوره الانقلاب . ولا تخلطي يا ابنية بين الواجبات وضروب الغنج فان لكل شيء وقتا . افتكر دائما بالله والقي اتكالك عليه لانك بدون مساعدته ترزحين تحت اثقال الحياة . لا تصغي الا اصحاب العقول الكبيرة الذين يظنون أنهم يصنعون خيرا باقتلاعهم الايمان من الصدور خصوصاً من صدور التعساء الذين ليس لهم غير ايمانهم . علمي اولادك

(١) وجوب استعداد المرأة للعمل اذا احتاجت اليه للاسباب المذكورة في هذه المقالة

اصول الايمان والديانة . امنحيهم هذا السلاح القوي ضد مصائب الحياة وضد شهواتهم . انظري دائماً الى نفوسهم وتفرغي لتربيتها وتقويتها وترقيتها . اوقفي حياتك لخدمتهم . تفاني في اتمام واجباتك نحو الله ونحوهم . تغذي وغذيهم مع اللبن بالحب وانكار الذات اذ ليس من امر قوي مثل الحب ولا امر عظيم مثل انكار الذات .

الخاتمة

بسم الله وحده اختم كتابي هذا كما ابتدأته لاجئاً اليه . معتمداً عليه ان ينفع به المستعدين لتلقي الحكمة من اي وعاء خرجت . وقبول النصيحة من أي فرد سقيت . فما من أحد بأصغر من أن يعين ولا بأكبر من أن يعان كما ورد في كلام علي عليه السلام . واني اقدم هذا الكتاب وهو باكورة عملي الى أبناء وطني الاعزاء راجياً منهم ان يعيروه آذاناً صاغية . وقلوباً واعية . وانا وان لم انخرط بعد سلك المؤلفين الا انني اقدمت على ما اقدموا عليه أسوة بالكرام الكاتبين وعملاً بقول الشاعر .

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح

﴿ فهرست ﴾

﴿تنبيه﴾ وقعت بعض اغلاط مطبعيه لا تخفي على الالبا القراء لذلك ضربنا صفحا عن وضع جدول لها